450

HARLEQUIN

روايات أحلام

وردة ضاعت منه

تريش وايلي

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

وردة ضاعت منه

اختبأت من الحب لكنه وجدها!

أقنعت تيجان ديلاني نفسها أنها منشغلة جدا ولا وقت لديها للحب.

لكن عندما أجبرت على القيام بدور الأم لأطفال أختها، احتاجت إلى مساعدة جارها الوسيم براندن. وفجأة بدأت القواعد التي وضعتها لنفسها تنهار.

برهن براندن أنه أفضل أب يمكن الحصول عليه، وخير صديق يمكن اللجوء إليه. ولكن هذا لم يكن كافيا ليمنع تيجان من الهرب عند أول خفقة قلب. فهل يهزمها الحب؟

لبنان	3000ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	100ل.س	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2.50دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 978-9953-15-461-9

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Project: parenthood
First published in Great Britain 2006
Harlequin Mills & Boon Limited
© Trish wylie 2006
Translation © Dar El-Farasha - 2009
ISBN 978 - 9953 - 15 - 461 - 9

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 453115 - 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

تريش وايلي

تنقلت تريش من مهنة إلى أخرى قبل أن تحقق حلمها بأن تصبح كاتبة. لكن السنوات التي أمضتها بالعمل في حقل الموسيقى والإعلانات وتعليم الأطفال وركوب الخيل، منحتها فرصة التعمق في شؤون الحياة والناس المحيطين بها. وهذا ما تعتبره تريش دروساً مفيدة للبدء بكتابة الروايات.

تعيش تريش في إيرلندا وتوزع وقتها ما بين التأليف والاهتمام بالخيل. وهي تعتقد أن الإنسان الذي يمضي أيامه وهو يقوم بالأعمال التي يحبها، يتمتع بحياة رائعة دون شك.

يمكنكم التواصل مع تريش عبر موقعها الإلكتروني.

WWW.Trishwylie.com.

تمهيد

- تبدين رائعة الجمال. كأنك أميرة حقيقية!

ابتسمت تيجان ديلاني لأختها الصغرى التي شهقت معجبة بجمال أختها، وهي تقف متكئة على إطار باب غرفة النوم. قالت لها: «آه! الفضل يعود إليك. يمكنك أن تجترحي معجزة عندما تعملين لمدة ثلاث ساعات كاملة. النتيجة مذهلة! هل حضرت العشاء لوالدي؟».

هزت إيمير رأسها بالموافقة فاهتز شعرها الذي عقدته كذيل الفرس قبل أن ترتمي على سرير تيجان. قالت: «أجل. آه. . . ! سأقوم بمراجعة بعض الدروس في غرفتي حتى عودتك إلى المنزل».

- يمكنك مشاهدة التلفزيون في الطابق الأرضي مع أبي عندما ترغبين في الاستراحة. أنا متأكدة أنه لن يمانع.

رفعت إيمير عينين خضراوين تشبهان تماماً عينيها نحو السقف بضيق، وقالت: «سأنتظرك في غرفتي، وعندما تأتين ستخبرينني بكل شيء».

أسندت رأسها على يدها وتابعت: «عديني أنك ستوقظينني إن وجدتني نائمة».

- يمكنني أن أخبرك عند الصباح.

قطبت إيمير جبينها وقالت: «لن أنام حتى أسمع كل شيء الليلة».

رفعت تيجان حاجبها وسألتها: «ألم تقولي للتو إنك تريدينني أن أوقظك؟».

عبست إيمير قبل أن تؤكد: «حسناً! لن أنام قبل أن تأتي وتخبريني. لم أتمكن من الذهاب إلى حفلة أنيقة ومترفة من قبل».

www.elromancia.com

استدارت تيجان إلى المرآة ونظرت إلى انعكاس صورتها. إنها رائعة الجمال حقاً، والفضل يعود لإيمير. لولا حس الأناقة لدى أختها لما بدت بهذا التألق. لو رجع الأمر لها لارتدت سروال جينز جميل، فذلك سيناسب تيجان التي تبدو دائماً كالصبية. لكن إيمير أكثر طموحاً، وها هي النتيجة رائعة. توقفت لتضم أختها إليها إظهاراً لامتنانها لها، ثم غادرت الغرفة. شعرت بدقات قلبها تتسارع قليلاً في صدرها لمجرد التفكير بما سيعتقده الناس بشأن هذا التغيير. ليذهب الجميع إلى الجحيم! هناك شخص واحد ترغب بلفت انتباهه... شخص واحد يهمها رأيه: إنه براندن مكنامارا الذي انفصل عن صديقته في بداية العام الجامعي الجديد.

حملت تيجان معطفها وسارت نحو الدرج. مشت بحذر وهي تحاول أن تحافظ على توازنها فوق حذاء ذي كعبين عاليين. عادت أفكارها تدور حول الرجل الذي يجلس في غرفة الجلوس وصينية العشاء أمامه، وهو يشاهد أحد الأفلام الوثائقية على شاشة التلفزيون. من المؤكد أنه سيلاحظ تألقها وسيعطيها بعضاً من وقته ليقول لها إنها تبدو جميلة. أملت أن ينظر إليها ويلاحظ أنها أصبحت امرأة الآن، ولم تعد تلك الفتاة التي ترتدي ثياب الصبية وتلعب مثلهم. بضع كلمات من الحب أو حتى عناق صغير هما أكبر من توقعاتها، لكن كلمة صغيرة ستبدو كافية. لكنه لم يرفع نظره عن طعامه عندما دخلت إلى الغرفة.

- أنا ذاهبة الآن، أبي.

- حسناً! عودي عند الساعة الثانية عشرة إذاً.

- أبي، إنها حفلة راقصة. ولن أعود قبل الساعة الواحدة.

حاولت أن تبقي صوتها هادئاً وواثقاً وهي تتابع: «لكنني سأعود مباشرة إلى المنزل. أعدك».

- حسناً.

انتظرت آملة أن ينظر إليها ولو للحظة، لكنه استمر في تناول طعامه ثم

قال: «ألديك ما يكفي من المال؟».

- أجل.

- لا تنفقيه كله.

- لن أفعل.

تنهدت تيجان ونظرت بتجهم إلى الأرض واستدارت لتغادر الغرفة قائلة: «أراك في الصباح، أبي».

- لا أريد نخالة لا فائدة منها على الفطور.

- حسناً!

ابتلعت غصة في حلقها، واستدارت لتسير مبتعدة عنه. كان عليها أن تعرفه أكثر، وما كان عليها أن تتمنى. أليس كذلك؟ سنوات من خيبات الأمل هي أكثر من كافية لتعلمها أنها لن تجد أي دعم أو حنان لدى والدها، تماماً كما كان الأمر مع أمها المتوفية.

عار عليها ألّا تكون قوية وصلبة كما يفترض بها أن تكون نظراً لسنوات العذاب التي عاشتها.

والحمد لله إن لديها صديقاً مثل براندن لتتمكن من مواجهة هذا العالم.

* * *

خلال ساعات قليلة أعاد براندن البسمة إلى وجهها بمزاحه اللطيف وكلماته المرحة وثقته الواضحة بنفسه. إنه حقاً رائع، وهي تجد السعادة بقربه. على الرغم من أن الواقع يبقى ماثلاً في ذهنها ليذكرها بأن الحياة ليست مكاناً للسعادة والبهجة.

التقت براندن عندما تشاركا السكن في شقة في حرم الجامعة، ما جعل التعرف عليه واعتباره صديقاً أمراً سهلاً. لم تشكل لها صداقته أي خطر لأن الفتيات الثلاث اللواتي تشاركن معه في الشقة قطعن عهداً على أنفسهن بعدم التودد إلى الشبان أو التقرب منهم. هذا لا يعني أن تيجان فكرت بذلك، إذ إن لديها أهدافاً كبيرة أكثر أهمية من التعلق بذراع شاب

ما. لكنهما أصبحا صديقين عندما كانت شانون تتأخر في عملها وعندما تمضي الكثير من الوقت وهي تستعد للخروج لقضاء أمسية ما.

تعرف تيجان أن براندن مكنامارا يعمل بتصميم وإرادة للحصول على مايريده في الحياة، وأنه في أحد الأيام سيمتلك منزلاً يضم زوجة وعائلة. فهو حنون، منفتح، متحمس للحياة ومتفائل، كما أنه ناجح في كل ما يقوم به. بالإضافة إلى ذلك فإنه وسيم بشكل ملفت للنظر. إنه حقاً رائع، حتى يمكن أن يقال عنه إنه مثالي! مع ذلك فهو ليس الشخص الذي قد تسمح تيجان لنفسها في الوقوع بغرامه لأنه يريد الارتباط والالتزام لمدى العمر، أما هي فلا رغبة لديها مطلقاً في البحث عن شخص يملك هذه الصفة. إنها لا تريد شخصاً يؤمن بالسعادة الأبدية، فقد رأت عن قرب ما الذي يفعله الزواج بالناس، لا سيما إذا أنجب الزوجان أطفالاً ثم اكتشفا أنهما غير مناسبين لبعضهما. عندئذٍ تصبح حياتهما مليئة بالندبات والجراح، والأطفال وحدهم يدفعون الثمن.

اقسمت تيجان إنها لن تسمح مطلقاً بحدوث ذلك لها، فهي لا تريد لأي طفل أن يعاني ما عانته.

صداقتها مع براندن هي بالطبع الخيار الأكثر أماناً. صداقتهما تعني لها الكثير، لأنها تثق به وتشعر أنه يعرفها بما فيه الكفاية كي لا يتقرب منها أو يتودد إليها. لكن الغريب في الأمر، أنها أثناء وجودها مع براندن تنسى الكثير من الأشياء التي ارتكزت عليها حياتها، فهو يجعلها تتمنى لو أنها تستطيع أن تؤمن بالسعادة الأبدية. أما الآن، ولليلة واحدة فقط ستسمح لنفسها بالعيش في قصة خيالية. فهي ترتدي كأميرة، وترقص مع أمير وسيم في حفلة عيد الميلاد.

- هل أنت سعيدة؟

ابتسمت له وقالت: «أجل. لا أعتقد أنني شعرت بمثل هذه السعادة يوماً».

ابتسم لها براندن ابتسامة جعلت عينيه الزرقاوين تلمعان بشدة،

وقال: «أنت فعلاً بحاجة إلى الخروج أكثر، فكثرة الدرس تجعل من تيجان فتاة مملة».

- آه! هيا تابع. زدني من هذه الاطراءات. أستطيع تحمل ذلك.

- قلت لك مرتين إنك تبدين رائعة الجمال الليلة.

دار بها دورة جعلت تنورتها الطويلة تتمايل حولها وتابع قائلاً: «لا أريدك أن تصابي بالغرور».

شعرت تيجان بالتوهج في داخلها بسبب مديحه الخفي، فعندما وقعت عيناه عليها للمرة الأولى الليلة أعلنت ملامح وجهه أكثر من إطراء لها. نظر براندن إلى وجهها، وضحك بصوت منخفض وهما يتمايلان معاً في باحة الرقص. قال بعد قليل: «أعلم أنك تعتبرينني مجرد صديق».

نعم، إنه كذلك! للحظة قصيرة سمحت تيجان لنفسها بالتساؤل عن تلك الفتاة المحظوظة التي ستتمكن من الاحتفاظ به. شعرت بألم حاد من الغيرة يمزقها، ما جعل قدميها تهتزان للحظة.

فكرت وهي تشعر بالرعب، آه، لا! إنه صديق، ولا يمكن أن يكون إلا كذلك.

- انتبهي إلى أصابع قدميّ عزيزتي.

- بالطبع، لأن من الصعب ألا ألاحظهما.

تابعت تقول وعيناها تلمعان: «أتعلم ماذا يقال عن الرجال أصحاب الأقدام الكبيرة؟».

اتسعت عينا براندن قليلاً، ثم مال برأسه نحوها أكثر، وأخفض صوته لتستطيع وحدها أن تسمعه: «يملكون أحذية كبيرة؟».

ضحكا معاً، وتمايلا ليتحركا باتجاه الناحية الأخرى من حلبة الرقص. ما إن توقفت الموسيقى حتى التمع شيء ما في عيني براندن. نظر إلى وجهها للحظة معبرة كما لو أنه يحاول حفظ ملامح وجهها في ذاكرته إلى الأبد قبل أن يتابع قائلاً بالنبرة نفسها: «أنت حقاً تبدين رائعة الجمال الليلة، تيجان».

في الواقع، تعرف تيجان ما الذي يمكن أن يحدث في مثل تلك اللحظات التي لا رجوع عنها. شعرت بصوت داخلي يحذرها من خطر قادم إليها. إنه صوت في مؤخرة دماغها راح يصرخ بها: آه، لا! هذه لحظة المشاكل. أدركت ذلك بعد فوات الأوان.

راح براندن ينظر إليها، فيما غمرها الدفء والحنان اللذان ينضحان من عينيه الزرقاوين. نسيت في تلك اللحظة كل الأهداف التي وضعتها لنفسها والعهد الذي قطعته لذاتها بأن تتجنب الشبان أمثاله، خشية أن يمتلك أحدهم قلبها الذي لم يتأثر بمشاعر الحب من قبل. الخطأ الوحيد الذي اقترفته هو أنها سمحت لنفسها بأن تستسلم لسحر تلك اللحظة...

ما إن ابتسم براندن وهو ينظر إليها وكل ما فيه يتوهج من السحر وشدة الجاذبية، ثم رفع نظره ليدلها على النجمة التي تدلت من إطار الباب فوقهما حتى نسيت تيجان أن تتنفس. كان يجدر بها أن تطلق نكتة ما أو أن تبتعد عنه لا أن تقف مسمرة في مكانها لتراقبه وهو يميل برأسه نحوها.

أدركت أنها ارتكبت خطأ كبيراً في اللحظة التي ضمتها ذراعاه إليه ليعانقها. آه، لا!

ما إن لامستها بشرته حتى شعرت كأن شيئاً لم تكن تعلم بوجوده يتفتح في داخلها. بدأ الأمر بإحساس من الدفء، ثم تحول ذلك الدفء ليغمرها فيسبب لها تقطعاً في أنفاسها وتسارعاً في دقات قلبها. شعرت بإحساس غريب ممتع يجتاحها ويسيطر على كل ذرة في كيانها. ذلك كله حصل من خلال عناق واحد، وفي وقت لا يتعدى اللحظات...

دبّ الرعب في أوصالها، فهي لن تسمح مطلقاً بحدوث ذلك. للحظات قليلة فقدت السيطرة على زمام الأمور فشعرت أنها تخطو نحو الهاوية، لكن خلافاً للكثير من الناس الذين لا يملكون فكرة عما يمكن أن يجدوه في قعر الهاوية، تيجان تعرف جيداً ما الذي ينتظرها هناك؛ معاناة تحطم القلوب، عذاب مدمر، عدم الثقة بالنفس، تضحية دائمة وألم لا نهاية له.

إنها في الحادية والعشرين من عمرها ولم تخض بعد تجربة من هذا النوع، فهي لم تشعر يوماً بالانجذاب إلى أي رجل. لكنها تعرف جيداً مدى الألم الذي يسببه التورط العاطفي. وهي لن تسمح بحدوث ذلك لها.

- لا!

خرجت الكلمات من فمها بنبرة هامسة مليئة بالعذاب: «ما كان عليك أن تفعل ذلك، نحن لا نستطيع..».

- بلى، نستطيع.

اشتد ضغط ذراعيه على خصرها، وتابع: «كان عليك أن تعلمي أن ذلك ما سيحدث».

دفعت ذراعيه عنها بقوة لتبتعد عنه، وقالت: «لم أتوقع ذلك مطلقاً! من المفترض أننا صديقان».

- حسناً! إنها بداية جيدة. أليس كذلك؟

- لا! لا فكرة لديك مطلقاً عما أقحمت نفسك فيه.

بدا من الواضح أن لا فكرة لديه مطلقاً عما تقصده تيجان. نظرة عينيه أخبرتها بذلك. في تلك اللحظة علمت أنها على صواب. إنه لا يعرفها جيداً كما يخيل إليه وتلك ليست غلطته، فمن يعيش حياة مرحة وساحرة مثل حياته يعتقد ببساطة أن حياة الآخرين بسيطة وسهلة أيضاً. على الرغم من شعورها بالألم لأنها رفضته، إلا أن هذا يبرهن لها أنها على حق بما تفعله. إن تمادت بعلاقتها معه أكثر فإنها لن تستطيع تحمل الخسارة في ما بعد، وقد تنتهي بها الحال تماماً مثل والديها.

أخيراً تمكنت من الابتعاد عنه، وعيناها تلمعان بشدة بسبب محاولتها منع دموعها من التساقط. قالت: «لا أصدق أنك فعلت ذلك. لقد دمرت كل شيء».

- أتقولين هذا لأنني عانقتك؟ كيف تراني دمرت كل شيء؟

هز براندن رأسه وتقدم نحوها من جديد. جال بعينيه في الغرفة ليرى

إن كان هناك من يسترق السمع إليهما قبل أن يتابع: «أنت تتصرفين كفتاة مصابة بالهستيريا تيجان. توقفي عن ذلك».

تحدث إليها بنبرة رقيقة وكأنه يتنازل للتحدث معها بلطف وكياسة، فبدا ذلك كصفعة على وجهها. قالت: «كيف تجرؤ على التحدث إلي هكذا؟».

أصبحت نبرته أكثر تحذيراً: «تيجان...!».

- لا تنادني هكذا! ابحث لك عن فتاة ترغب بأن تعانقها، براندن. هناك عدد من النساء هنا يرغبن في عناقك، لكنني لست واحدة منهن.

رفعت ذقنها عالياً لتظهر عناداً واضحاً، ثم حدقت به بغضب وأضافت: «تمالك نفسك!».

من دون أن تنتظر أي إجابة استدارت، ومثل سندريلا التي هربت من الحفلة الراقصة، سارعت بمغادرة الغرفة واسمها يتردد وراءها من خلال صدى صوته العميق.

أقسمت حينها إنها لن تراه ثانية أبداً. قد يعتقد أن تصرفها صبياني. في الحقيقة يستطيع أن يفكر كما يشاء فليذهب إلى الجحيم!

لن تسمح لأحد أن يتقرب منها مجدداً كما سمحت له. ستعمد فقط إلى الاهتمام بنفسها وبمفردها. هكذا... بوضوح وبساطة.

١ - صدفة أم قدر

- لا يمكنك أن تفعلي بي ذلك الآن!

أخفضت إيمير صوتها ورمشت بعينيها المضيئتين وهي تقول: «تيجان! ما كنت لأطلب منك ذلك لو لم يكن الأمر غاية في الأهمية. أحتاج إلى قضاء بعض الوقت مع ماك بمفردنا لنقرر إن كان علينا أن ننهي زواجنا أم أن بإمكاننا أن نستمر معاً».

- فهمت ذلك إيمير... لكنني لا أستطيع الاعتناء بهم الآن.

نظرت إلى الوجوه الثلاثة الصغيرة التي تحدق بها، وشعرت بالذنب يتصاعد في قلبها ليصل إلى حلقها مراً كالصبر لأنهم يسمعون أنها لا تريدهم وأنها ترفض وجودهم. قالت بسرعة: «ربما في الأسبوع القادم. علي إنجاز هذا الاتفاق المهم في العمل، وأنا..».

- نحن هنا نتحدث عن حياتي! لا أستطيع أن أخسره تيجان. لا أستطيع... حقاً.

أجهشت إيمير بالبكاء، فكاد قلب تيجان ينفطر. إنها لا تستطيع تحمل رؤية أختها وهي تبكي، لا سيما أمام ابنها وابنتيها. مع أن أمهم تدير ظهرها نحوهم، لكن تيجان لا تستطيع أن تدعهم يعيشون المعاناة التي عاشتها أثناء طفولتها. فهذا عمل قاس ووحشي.

أتراها تتصرف بشكل غير منطقي حين تطلب من أختها أن تحذرها مسبقاً باتصال هاتفي على الأقل أو برسالة صغيرة تخبرها فيها أنهم في طريقهم إليها، بدلاً من أن تجد سيارة محملة بالأغراض خارج منزلها ما إن تعود إلى المنزل من العمل؟

www.elromancia.com

- إيمير!

- من فضلك... أتوسل إليك!

مرّ وقت طويل لم تشعر فيه تيجان أن إيمير بحاجة ماسة إليها، فالأمور تبدلت بينهما عبر السنين لا سيما بعد زواج إيمير الأول. ذلك الزواج الذي شعرت تيجان أنه ما كان يجب أن يتم منذ البداية. لطالما قالت لها ذلك بصوت عال، وإيمير لم تسامحها على ذلك مطلقاً. ملامح اليأس التي ظهرت على وجه أختها جعلتها تشعر بحاجة لأن تخفف عنها، لعل الأمور تغدو أفضل بالنسبة إليها.

جالت بعينيها مجدداً على الأطفال الثلاثة. راح جوني - وهو الأكبر سناً - ينظر إليها بعينين ذات لون يشبه لون عيني أمه وكأنها لا تناسب توقعاته. تنفست بعمق وقالت: «إلى متى سيبقون هنا؟».

- شكراً لك!

ضمتها إيمير بسرعة إلى صدرها بشدة، واختفت دموعها وهي تتابع: «علمت أنني أستطيع الاعتماد عليك».

عبست تيجان، وفجأة راودها شعور بأنها خُدعت. قالت: «لا بد أنهم سيحتاجون..».

- كل ما سيحتاجونه موجود معهم، وكل شيء عليه توضيح حول كيفية استعماله، كما أن ميغي أصبحت نظيفة الآن، لذلك لن تحتاج إلى حفاض إلا في الليل.

بقيت مقطبة الجبين بينما تنقلت أختها كالإعصار في الغرفة، فراحت تضم الأطفال إليها وتقبّلهم، لتسرع بعدئذٍ بالسير نحو الباب وهي تقول: «سنغيب فقط لأيام قليلة. حجز ماك مكاناً جميلاً في الريف لنمضي فيه وقتاً هادئاً».

- كيف سأتمكن من...؟

- شكراً تيجان. أنت فعلاً رائعة!

وغادرت.

رمشت تيجان بعينيها وهي تنظر إلى الباب المغلق. ما الذي حدث للتو؟ منذ أقل من نصف ساعة كانت تحلم بحمام ساخن معطر وبإنارة شمعات ملونة وهي تحتسي شراباً بارداً خلال الأمسية، والآن ها هي تحدق بثلاث وجوه صغيرة تنظر إليها باستغراب مثلها تماماً. رسمت على وجهها ابتسامة مشرقة وهي تقترب منهم... لم يمر أكثر من ثلاثين ثانية حتى انفجرت الفتاة الأصغر بالبكاء.

- آه! لا، عزيزتي... لا تبكي.

ما لبثت الفتاة الأكبر سناً أن شهقت بالبكاء أيضاً. فقط جوني هو من بقي هادئاً. لا بد أن هذا أسوأ كابوس مرت به تيجان!

* * *

يكره براندن الأيام التي ينتقل بها من مكان إلى آخر. عسى أن تكون هذه المرة هي الأخيرة، فيستقر في هذا المنزل عشرات السنين إن سارت الأمور كما يشتهي.

حمل بمشقة صندوقاً من الشاحنة التي استأجرها، وسار إلى المنزل للمرة السادسة قبل أن يرفع كميه ويتوجه من جديد نحو الشاحنة. على الأقل حياته ليست مشوشة كما تبدو حياة تلك المرأة المسكينة في الجانب الآخر من الشارع. إنها تقوم برحلتها الثالثة من المنزل إلى السيارة، وهذه المرة هي تحمل طفلاً يصرخ بين ذراعيها. من خلال حركاتها يمكنه أن يعلم أنها غير سعيدة بما تفعله. ما من دليل أن هناك والداً يساعدها. ربما يملك الرجل ما يكفي من المنطق ليتوجه إلى عمله في وقت مبكر قبل أن تزداد الفوضى حوله. لو أنه مكانه، لاستمتع بهذا النوع من الفوضى. هز رأسه متذمراً. كان عليه أن يشتري شقة في مبنى جديد يشغله عدد من الأشخاص العازبين. على أي حال، بدا له هذا المنزل استثماراً جيداً.

انحنت المرأة عبر باب السيارة لتهدئ الطفل الذي يصرخ، وبعد قليل ساد الصمت. مررت يديها في شعرها الأسود لترتبه قليلاً، ثم أغلقت الباب وسارت حول السيارة لتصل إلى مقعد السائق. لكن ما إن قطعت

نصف المسافة حتى توقفت، وسمع براندن صرخة إحباط ورفسة من حذاء ذي كعب عالٍ. رفعت المرأة يديها للحظة ثم اسقطتهما إلى جانبيها.

- لا، ليس في هذا الصباح! لا تفعل ذلك بي!

ابتعد عن الشاحنة ونظر إلى حيث تنظر المرأة، فرأى أن إطار سيارتها فارغ من الهواء. يا له من أمر مزعج حقاً! رفع كتفيه بعدم اهتمام قائلاً لنفسه إن هذه المرأة تبدو بحاجة إلى من ينقذها، وهذه إحدى الطرق للتعرف على الجيران. وهكذا، عبر الشارع راكضاً نحوها.

- مرحباً، هل تريدين أي مساعدة؟

أجفلت المرأة عندما سمعت كلامه واستدارت لمواجهته، ما جعل شعرها يتأرجح على وجهها. قالت: «يبدو أن إطار سيارتي مثقوب».

نظر براندن نحو الإطار، وهزّ رأسه موافقاً: «أجل. هذا ما أراه».

- لا أستطيع تبديل الإطار وأنا أرتدي هذه الثياب.

توقفت عن الكلام وراحت تتأمل الإطار الهابط إلى الأرض، ثم تنفست قبل أن تقول: «لا يفترض بي أن أطلب منك...؟».

استرعت انتباهه بشدة نبرة صوتها التي تبدلت على الفور. إنها تحاول مسايرته بهدف إقناعه بتبديل الإطار. من الواضح أنها إحدى الزوجات المدللات اللواتي لم يتعلمن كيفية تبديل إطار السيارة لأن زوجها يفعل ذلك دائماً عوضاً عنها. ابتسم براندن ونظر إليها وهي تبعد شعرها عن وجهها، و... شعر بأنفاسه تنحبس في صدره.

- تيجان؟!

تراقصت عيناها وهي تنظر إليه، ثم اتسعت نظرتها وقالت: «براندان!».

رفع حاجبيه الأشقرين بسبب نبرتها الحذرة في لفظ اسمه. حاول أن يبتسم ابتسامة أكبر، ثم قال: «حسناً! هذه مفاجأة فعلاً».

- ما الذي تفعله هنا؟

- انتقلت للعيش في الجهة المقابلة للشارع.

- هل اشتريت المنزل المواجه لمنزلي؟

نقلت نظرها لترى الشاحنة التي أصبحت نصف فارغة تقريباً.

سألته: «متى حدث ذلك؟».

- استلمت المفاتيح أمس الأول. لم يخطر ببالي أن أطلب قائمة بأسماء الأشخاص الذين قد ألتقي بهم عندما أنتقل للعيش هنا.

- أنا آخر شخص توقعت أن تلتقي به. أليس كذلك؟

رفعت أنفها عالياً وهي تنظر إليه، لكن ابتسامة صغيرة ظهرت على شفتيها فتابعت: «لكنها صدفة لطيفة».

تحديقها به جعله يقف بشكل مستقيم. حسناً! إنها تعاني من صباح سيئ كما هو واضح، لكن لا يمكنها أن تتصرف معه بفظاظة. ففي النهاية، أتى كي يساعدها.

- حسناً! مرت فترة طويلة.

شبك ذراعيه أمام صدره العريض وهز برأسه.

قالت: «أجل. فترة طويلة جداً».

قام بمحاولة جديدة ليهدئ من روعها مع أنها لا تستحق ذلك. أشار بإصبعه نحو السيارة، ملاحظاً أنه على الأقل لم يعد هناك أي صراخ، وقال: «من الواضح أنك أنجبت ثلاثة أطفال في تلك الفترة!».

زفرت تيجان قبل أن تضحك بضيق وتقول: «آه! إنهم ليسوا لي. إنهم أطفال أختي».

- هل سرقتهم؟

أصبحت ابتسامتها أكثر إشراقاً وهي تجيبه: «لا! ولماذا يرغب أي إنسان في القيام بذلك؟».

- حسناً! إنهم رائعون.

لوح براندن بيده للأطفال من خلال النافذة.

- أجل، إنهم كذلك.

لوحت لهم هي أيضاً وتلقت نتيجة لذلك ابتسامات منهم جميعاً،

www.elromancia.com

لكنها تابعت: «لكنهم بحاجة إلى الكثير من العمل القاسي».

- سمعت تلك العبارة من قبل.

نظرت إليه من خلال انعكاس صورته على زجاج السيارة، وبدا لها كأنها بحاجة إلى لحظة أو أكثر لتفكر، ثم سألته: «اسمع! آسفة لأنني أطلب منك ذلك، لكن هل يمكنك أن تساعدني في تبديل هذا الإطار؟ سأصل متأخرة إلى عملي إذا تأخرت أكثر من ذلك».

- هل ستأخذينهم معك إلى العمل؟

- لا!

ضحكت تيجان من جديد، وتابعت: «هناك مركز للعناية بالأطفال في مكان قريب من هنا، وقد وافقوا على الاعتناء بهم اليوم من أجل مساعدتي. بعد ذلك سأنطلق إلى عملي».

تنفس براندن بهدوء واستدار لينظر إليها. جال بعينيه على ملامحها، بينما استعاد بذاكرته صورتها في آخر مرة رآها فيها. لم تفقدها السنوات التسع جمالها. إنها تبدو رائعة، مع أنها مرهقة قليلاً. عندما أدارت وجهها إليه ورمشت بعينيها الخضراوين الواسعتين تذكر آخر مرة رآها فيها. تلك الليلة حين عانقها وقالت له إن عليه أن يتمالك نفسه قبل أن تهرب، ولم يحظَ بأي فرصة لرؤيتها من جديد للتحدث عن الأمر. لم تمنحه أي فرصة للقيام بذلك. والآن ها هي قد أصبحت جارته. أمر جيد!

قال بصوت واضح: «سأساعدك في تغيير الإطار بالطبع... هذا ما أتيت للقيام به».

ساد الصمت بينهما، ثم قالت: «شكراً».

ابتسم لها من جديد، وقال: «على الرحب والسعة».

ترددت تيجان للحظة قصيرة، ثم بادلت ابتسامته بابتسامة منها.

تبعته إلى الجهة الخلفية للسيارة. راقبته وهو يحمل الإطار الإضافي والمعدات التي يحتاجها من الصندوق. أعطاها ذلك بعض اللحظات لتفكر بأي حديث ستتبادله معه. إن الجزء الأكبر من عملها كل يوم هو

التحدث إلى الناس، لذا لا يجدر بها أن تشعر بهذا التوتر. لكن كل ما استطاعت التفكير فيه، حسناً! تباً! من بين كل الناس...

سمعت صوته يقول: «إذاً، أليس لديك أطفال؟».

- لا!

شعرت كأنها بحاجة إلى تبرير ما قالته، فتابعت: «أنا منشغلة جداً بعملي».

- حسناً! لا أظن أنك تكرسين له وقتاً كافياً بوجود هؤلاء الأطفال. أليس كذلك؟

قطبت تيجان جبينها وهي تنظر إلى ظهره. رأته ينتهي من رفع السيارة ثم يمد يده إلى مفتاح الربط.

- لا. ما زلت منشغلة جداً بعملي. هذه الزيارة أتت فجأة، ولم أعلم بها مسبقاً.

سمعت صوته يزفر وهو ينزع عزقة الإطار.

- وكيف ستتمكنين من تدبر الأمر إذاً؟ هل سيساعدك زوجك؟

ملاحظة ماكرة!

- أنا منشغلة جداً بعملي، ولا وقت لدي للزواج.

- لا بد أنك ناجحة جداً في عملك، إذاً.

- في الحقيقة، أنا كذلك.

تحول تجهم وجهها إلى عبوس حقيقي.

هز رأسه ما إن أخرج الإطار من مكانه وقال: «حسناً! هذا خبر جيد».

ضغطت على أسنانها بقوة حتى كادت تسحقها. في غضون محادثة قصيرة جعلها تشعر كأن السنين التي أمضتها بعيداً عنه هي بلا جدوى. هذا لا يعني أنها لم تحقق الكثير في حياتها؛ إنها تملك منزلها تقريباً بغض النظر عن الفواتير المتوجبة للمصرف، كما أنها ستنتهي من دفع آخر فاتورة من ثمن سيارتها بعد أشهر قليلة. أما حسابها المصرفي فهو أكثر من

www.elromancia.com

مقبول، ما يتيح لها الاسراف في التسوق على الأقل مرة في الشهر. كما أنها تدفع فواتيرها قبل موعدها المحدد. هي تعتقد أنها ناجحة جداً بالنسبة إلى أي شخص بعمرها. من يعتقد نفسه ليقتحم حياتها وينتقدها؟

- أعتقد أنك تنتقل إلى العيش هنا مع زوجة لطيفة واثني عشر طفلاً. أليس كذلك؟

استدار براندن نحوها. رفع الإطار الإضافي بيده، ثم ابتسم لها قبل أن يقول: «لا! أعيش بمفردي».

تباً له! لقد تمكن منها. أليس كذلك؟ هو لا يحاول انتقاد أسلوب حياتها، إنه ببساطة يرغب بمعرفة أي معلومات عنها، وقد حصل على ما يريده. ذلك واضح في توهج عينيه اللتين تقولان: نلت منك!

هزت تيجان رأسها وهي تبتسم باستسلام. كان عليها أن تتذكر كم هو ذكي. الله وحده يعلم أنها تتذكر الكثير من الأمور الأخرى فيما هو يرمقها بهذه النظرة الحالمة.

استمر براندن في الابتسام وهو يستدير ويضع الإطار الصحيح مكانه، ثم قال: «يمكنني المساعدة إن وجدت نفسك في ورطة».

- شكراً. يمكنني تدبر الأمر.

- حسناً! إن وجدت نفسك بحاجة إلى المساعدة...

شدّ العزقة الأخيرة ثم وقف. مسح يديه بلا اهتمام بجانبي سرواله الجينز قبل أن يحمل الإطار الآخر. ما إن مرّ أمامها حتى نظر إليها بطرف عينه وتابع: «إنني خبير بالتعامل مع الأطفال. لدي العشرات من أولاد الأخوة والأخوات، لذلك اكتسبت الكثير من الخبرة».

سمحت لنفسها بالتساؤل للحظة قصيرة فقط لماذا لم ينجب هو الأولاد. ما الذي حدث لخطته العظيمة في الحياة؟ آه! إنها لا تستطيع التفكير بمثل هذه الأمور، لأن التفكير بها يقود إلى الأسئلة، والأسئلة قد توصلها إلى نوع من الصداقة... وهذا يعني ارتكاب خطأ مميت.

رفعت تيجان شعرها عن وجهها، ثم نظرت إلى ساعتها بينما كان

يضع الإطار في الصندوق وقالت: «شكراً لك. لكن... حقاً، سنكون بخير».

أغلق براندن صندوق السيارة ونظر إليها للحظة طويلة، ثم رمش جفنيه ببطء. بالكاد رفع كتفيه العريضتين، ووضع يديه في جيبي سرواله ثم قال: «حسناً! أنت تعرفين مكاني».

بالطبع تعرف. لكنها بحاجة لأن تكون في وضع خطير جداً قبل أن تتبع الكتفين العريضتين وهو يسير عائداً إلى منزله عبر الطريق.

www.elromancia.com

٢ - لست في ورطة

لم تشعر تيجان أنها في وضع خطر حتى اللحظة التي أوشكت فيها أن تغادر المكتب لتذهب وتحضر الأطفال. حدث ذلك عندما علمت أن لقاءها مع أحد أهم زبائنها حدد قبل عدة أيام من موعده، وأنه يجدر بها تقديم مشروعها الذي لم تتمكن من إنجازه بعد. عندئذٍ بدأت تشعر بالصداع.

في مركز الرعاية، لم تتمكن سواء بالتوسل أم بالاقناع من الحجز للأطفال الثلاثة ثانية، لأن المركز مكتظ.

شعرت برأسها يكاد ينفجر في الوقت الذي وصلت فيه إلى السوق المركزي في المنطقة.

- أريد أصابع السمك!

- لا. أريد الدجاج المقلي!

- أصابع السمك!

- الدجاج المقلي!

- إن لم تتوقفا عن الشجار في الحال لن تحصلا إلا على القنبيط ولا شيء آخر.

تمكنت بصعوبة من متابعة سيرها عبر الممرات المليئة بالأصناف، بدت كاتي مكتئبة، فأوقفت تيجان العربة على الفور أمام القسم المخصص للحبوب. رفعت حاجبيها لها وسألتها: «ألا تحبين القنبيط كاتي؟».

وضعت الفتاة البالغة من العمر خمس سنوات يديها حول خصرها وتظاهرت بالتقيؤ، ما جعل تيجان تضحك.

هزت كاتي رأسها بعنف، ثم فكرت للحظة وقالت: «أصابع السمك... من فضلك؟».

- بالطبع، كلمة من فضلك لها سحرها الخاص.

عادت تيجان إلى دفع العربة من جديد وهي تتابع: «سأخبرك ماذا سنفعل. لنشترِ الحبوب أولاً، ثم نقرر ماذا سنتناول على العشاء».

احتاج الأمر إلى خمس عشرة دقيقة للتفاوض بشأن القيمة الغذائية لنوع من الحبوب موضوعة في علبة ومعها هدية مجانية. في تلك الأثناء ظهر براندن قرب الزاوية وهو يحمل سلة.

- آه... تباً!

رسمت ابتسامة على وجهها ما إن اقترب وقالت: «مرحباً، من جديد».

- أنا لا أطاردك، إن كان هذا ما تعتقدينه.

في الواقع جالت الفكرة برأسها، لكنها قالت: «هذا هو المركز الأقرب للتسوق».

شدت كاتي بذراعه وسألته: «أنت من بدل إطار السيارة. أليس كذلك؟».

- نعم، هذا أنا.

ربض براندن على الأرض وابتسم لها باهتمام وهو يتابع: «أنت تشترين الحبوب؟ أحب هذا النوع أيضاً».

ضمت كاتي العلبة إلى صدرها وقالت: «يمكنك أن تحصل على كتاب معها».

قاطعتهما تيجان: «وعلى مئات التحذيرات».

- سيساعدها ذلك لتعيش فترة أطول.

تجهم وجه تيجان وهي تنظر إليه، ثم قالت: «هذا غير صحيح. الحبوب مع النخالة هي أكثر فائدة».

تظاهر براندن بالتقيؤ تماماً كما فعلت كاتي منذ لحظات، فضحكت

www.elromancia.com

كاتي له وقالت: «إنها كريهة!».

انحنت تيجان لتهمس في أذنه: «أنت لا تساعدني أبداً».

وقفت باستقامة على الفور ما إن نهض. شعرت بالخجل عندما نظر إلى وجهها بإمعان وقال: «تبدين منهكة. يبدو أنك أمضيت يوماً قاسياً».

- لا فكرة لديك عن مدى صعوبته...

أمسكت بعلبة الحبوب مع الكتاب ثم أضافت: «... وتزداد الأمور صعوبة».

حث براندن الخطى ليسير بمحاذاتها. مدَّ يده وحمل علبة ثم سألها: «إلى أي مدى ساءت الأمور؟».

من دون أن تدرك تيجان لماذا تفعل ذلك، بدأت تمطره بمشاكلها.

- العقد الذي أعمل عليه تقدم موعد إقراره، وعليَّ تقديم هذا العمل الضخم خلال يومين فقط.

هز براندن رأسه وهو يضيف المزيد من الأغراض إلى سلته، ثم قال: «ولديك هؤلاء الأطفال لتهتمي بهم في الوقت نفسه».

- نعم. ومركز رعاية الأطفال لا يستطيع استقبالهم في النهار.

- إذاً، أتقولين إنك في ورطة فعلية؟

أوقفت تيجان عربتها قرب البراد، وحدقت به بغضب قبل أن تقول: «لدي قائمة بأسماء أشخاص يرغبون في الاعتناء بالأطفال. سأتصل بهم لدى عودتي إلى المنزل».

- ماذا لو لم يستطيعوا الاهتمام بهم خلال هذا الوقت بالذات؟

عندها ستصبح فعلاً في ورطة كبيرة. رمشت بعينيها أمام وجهه الهادئ، وشعرت بالصداع يزداد قوة عند صدغيها.

- عندئذٍ سأعمل على تأجيل الموعد لعدة أيام.

حاولت أن تخفي تجهم وجهها من خلال النظر إلى البراد لتلتقط أصابع السمك والدجاج.

بقي براندن واقفاً بصمت حتى انتهت ونظرت إليه من جديد. قال:

«هل تعرف أختك كم أنت منشغلة بعملك في هذا الوقت بالذات؟».

تعمدت تيجان أن تنظر إلى علبة أصابع السمك لتقرأ ما عليها وهي تجيب: «لديها بعض المشاكل، وعليها أن تعمل على حلها في هذه الفترة بالذات. الأمر بغاية الأهمية».

راقبها وهي تخصه بابتسامة خجولة.

- لا أريد القنبيط، خالتي تيجان.

- إنه مفيد للصحة، كاتي.

- لكن طعمه كريه.

- سنضع فوقه صلصة الجبن، وسيصبح شهياً.

مررت يدها فوق شعر كاتي، ثم نظرت إلى براندن من بين رموشها وتابعت: «من الأفضل أن أذهب لأبدأ بالطهو».

- بالطبع.

هزّ براندن رأسه وتهيأ للتحدث من جديد، لكنها دفعت عربتها بعيداً عنه. قال: «تذكري أن عرضي للمساعدة ما زال قائماً إن كنت بحاجة إليه، تيجان. صدقيني!».

* * *

لم تستطع تيجان تغيير موعد الاجتماع. كما أن لا أحد من الذين يهتمون برعاية الأطفال والذين تملك أرقام هواتفهم لديه متسع من الوقت والمكان لثلاثة أطفال معاً، ما يعني أن عليها أن تفصلهم عن بعضهم، وهذا ما لا تستطيع القيام به. لم تجد أمامها أي خيار إلا أن تسيطر على مخاوفها وتطلب المساعدة من براندن، لكن فقط ليوم واحد. وهكذا أتى إلى منزلها في اليوم التالي، ما جعلها تشعر بالسوء. إنها لا تريده بقربها، وذلك أمر لا شك فيه.

أخيراً قررت تيجان أنه حان الوقت لتتصل بأختها. عندما وصلت إلى المنزل وجدت أن براندن مسيطر على الوضع بأكمله. لا شيء يبدو كأنه تلطخ أو تلوث أو تحطم منذ أن غادرت، وهذه بحد ذاتها أعجوبة لم

www.elromancia.com

تتمكن من القيام بها خلال الثماني والأربعين ساعة الماضية. تنهدت تيجان وهي تجلس إلى طاولة المطبخ، ثم ابتسمت لرؤية القهوة التي قدمها لها.

- هذا قرار نهائي، لمعلوماتك. سوف أقتلها عندما أمسك بها!

إنها مجرد كلمات... لكن للحظة ما عنت تيجان بصدق ما قالته، فقد آن الأوان لتنتهي مسؤوليتها عن مشاكل أختها. مر وقت طويل مذ غادرت الأختان ذلك الجحيم الذي يسمى منزل والديهما.

ابتسم براندن لها وهو يقف في آخر الغرفة، وقال: «لم تستطيعي التحدث مع أختك. أليس كذلك؟».

- حدس جيد! هذا لا يعني أنني لا أريدهم هنا. كل ما في الأمر أنني مشغولة الآن.

قال بصوته العميق المألوف لديها: «ليس لديك أي خيار آخر».

- بل لدي خيار... أستطيع الاتصال بها لتأتي وتأخذهم إلى منزلها.

- لكن هذا ما حدث، ولم تستطيعي إيجادها. أليس كذلك؟

رفع حاجبيه الأنيقين قليلاً وحدق بها بعينيه الزرقاوين اللتين بدتا كأنهما سوداوان عبر الغرفة، وتابع: «هل هناك مكان آخر يستطيعون الذهاب إليه حتى تجدينها؟».

حدقت إليه بغضب، ها هي مجبرة الآن بسبب أختها على تمضية المزيد من الوقت مع الرجل الوحيد الذي أمضت تسع سنوات وهي تتجنبه.

قبل ظهوره كانت تعيش على قاعدة «بعيد عن العين، بعيد عن القلب». لم تتواجد معه في حفلة واحدة، أو حاولت ولو عن طريق الخطأ، حضور أي اجتماع أو أي نشاط مشترك قد يتواجد فيه. أما الآن، فلا خيار لديها إلا قبول مساعدته ورؤيته باستمرار بطريقة مقربة جداً وشخصية جداً...

سمعت صوته من جديد عندما طال صمتها: «تيجان؟!».

- آسفة!

عبست وهي تحدق في فنجان قهوتها محاولة أن تجد جواباً لسؤاله. تابعت: «لا أستطيع الاهتمام بثلاثة أطفال أعمارهم جميعاً تحت العاشرة، لا سيما في هذا الوقت بالتحديد. كما أنني لا أستطيع التطفل عليك أيضاً. هذا العقد الذي أعمل عليه حالياً لن ينجز قبل نهاية الأسبوع القادم».

- ليس للأمر أهمية، فأنا لا أمانع في المساعدة.

رفعت نظرها إليه من جديد، ورأت أن عينيه مليئتان بالدفء والثقة تماماً كما هو صوته. بالرغم من ذلك شعرت بالتوتر. قالت: «أنت لا تمانع، لكن أنا أمانع».

- أنت لا تريدين تركهم في رعاية شخص لا تعرفينه. أليس كذلك؟

قطبت جبينها واعترفت في أعماقها أن هذا هو سبب إصابتها بالصداع كلما تحدثت مع أحدهم بشأن العناية بالأطفال، فهذا الأمر يقلقها ولا يناسبها مطلقاً. ما تريده هو أن تعود أختها إلى منزلها، فهكذا ستتمكن هي أيضاً من استعادة حياتها السابقة. حتى إنها ستعرض عليها أن تجالس الأطفال لليلة أو أكثر. هكذا ستحظى إيمير وماك بوقت خاص بهما وحدهما، كما أنها ستضع لهم برنامجاً معيناً كي يأتوا لقضاء بعض الوقت عندها، بهذه الطريقة ستتخلص من الاحساس بالذنب لأنها لم تساعد أختها في تربية أطفالها.

تنهدت وقالت: «لا أستطيع الذهاب إلى المكتب بصحبة ثلاثة أطفال، وإن خسرت هذا العقد..».

لم تستطع أن تكمل جملتها، إذ خانتها الكلمات...

ابتعد براندن عن الطاولة، وسار عدة خطوات ليقف مباشرة أمامها. قال بصوت ناعم كالحرير: «إنهم بحاجة إليك».

- لكنني لست أمهم. أمهم يجب أن تكون بقربهم.

حاولت ألا تلاحظ كم هو قريب منها، أو كيف تمكن من جعل كلماته مليئة بالاغواء. رفعت عينيها إلى وجهه، وتساءلت كيف يمكن

لشخص أن يبدو بمثل هذه الوسامة بعد تسع سنوات! لو وقفت أمام انعكاس صورتها في المرآة على هذه المسافة لا بد أن تجد شائبة ما... بل في الحقيقة، الكثير من الشوائب. وكل واحدة منها ستذكرها أنها لم تعد في الحادية والعشرين من عمرها. ابتلعت تيجان غصة في حلقها، وأجبرت نفسها على النظر إلى زر في قميصه. حدثت نفسها بمنطق أنها إن تابعت النظر إلى الزر لن يتشتت تفكيرها، ولن ترفع نظرها إلى عينيه الزرقاوين الرائعتين. حتى وهي تعلم أنه ما زال ينظر إليها.

- لا، أنت لست أمهم. لكنهم بحاجة إليك لتكوني بديلاً عنها الآن. أنت حقاً لا تملكين أي خيار آخر. أتعلمين ذلك؟

- أدرك ذلك تماماً. شكراً لك!

- إذاً، كل ما عليك فعله هو القيام بذلك، وستكونين أكثر من رائعة.

إنه يجعل الأمر يبدو بمنتهى البساطة. لكنها وضعت خطة حياتها منذ زمن بعيد جداً. خطة لا تتضمن بأي شكل من الأشكال ثلاثة أطفال يعبثون حولها وينغصون عليها وحدتها. خطتها هذه لا تورطها بتحمل مسؤولية أي كائن حي، حتى هرة صغيرة أو سمكة ذهبية. من المفترض أن تنضج إيمير بما يكفي كي تعفي تيجان من مسؤوليتها عنها، فلا يبقى لديها سوى ذاتها فقط لتهتم بها. كما أنها هي نفسها مرت بأوقات صعبة. ليس عليها أن تقوم بمثل هذا العمل بعد اليوم، فهذا ليس عادلاً. ظهر العبوس على وجهها بسبب تلك الأفكار النكدة. تباً!

راقب براندن تجهمها للحظات قليلة، ثم استدار مبتعداً عنها فوضع يديه في جيبي سرواله الجينز القديم وقال: «قلت لك إنني سأساعدك بقدر استطاعتي».

نظر مجدداً إلى وجهها وأكمل: «أنا أقصد ما أقوله، لن أتركك وحدك في هذا المأزق».

- أعلم. قلت لي ذلك من قبل.

أخذت تيجان نفساً عميقاً لتتمكن من امتصاص إحساسها بالاحباط. لطالما كان براندن رجلاً رائعاً. أليس كذلك؟ كما أنه يجيد التعامل مع الأطفال، وهذا يجعلها أكثر توتراً بحضوره مما هي بالفعل. تابعت بعد قليل: «لكن هذه ليست مشكلتك. إنها مشكلتي، وأنا حقاً لا أريدك أن تشعر بأن عليك الركض إلى هنا لتنقذني في كل مرة أتعرض فيها لكارثة».

- يحب كل شاب أن يقوم بدور الفارس النبيل بين الحين والآخر.

رماها براندن بابتسامة رائعة متجاهلاً كل التذمر والغضب في نبرتها وهو يتابع: «كل ما في الأمر أنك المرأة الوحيدة الأقرب إلي».

كرهت تيجان فكرة أنها المرأة الأقرب والأشد يأساً. هذا كثير بعد تلك السنوات التي أمضتها وهي تحاول أن تكون امرأة عاملة قوية ومستقلة، قادرة وواثقة من نفسها. لم يتطلب الأمر سوى تكليفها بمهمة بسيطة في منزلها لتصبح أداة لا حول لها ولا قوة. كما أن براندن لديه عمل خاص به وأشياء تملأ وقته. شعرت بغصة في أعماقها وهي تفكر... ونساء يشغلن تفكيره...

راقبته بعينين ضيقتين وهو يستدير. أخرج يده من جيبه ليمسك فنجانه ثم سار خطوتين أو أكثر قليلاً ليصل إلى المغسلة ويغسله. في لحظة ما لمع في فكرها كم أن براندن فارع الطول وهو يصل إلى أي مكان في خطوتين واثقتين. كادت تنسى عبر السنين كم هو طويل القامة. عندما يكون قربها تشعر في لحظة أنها أنثى فقط، وربما تشعر بقليل من اليأس وخيبة الأمل.

- إذاً، ما الذي ستفعلينه إن لم تتقبلي بعض المساعدة؟

سؤال منطقي!

- لا أعلم.

قطبت جبينها من جديد ما إن تفوهت بهاتين الكلمتين بيأس وحسرة. عليها أن تتوقف عن التصرف كالبلهاء. أردفت قائلة: «سأفكر بشيء ما حتى أتوصل إلى معرفة مكان إيمير».

- لا شك أنك حاولت الاتصال بها في كل مكان.

أخبرته بذلك عندما اتصلت لتطمئن على الأطفال خلال النهار، لهذا أعادها سؤاله إلى نقطة البداية.

- لا. اتصلت مرة فقط ثم انشغلت بعملي.

رفعت يديها إلى وركيها، ثم مالت برأسها محدقة بظهره ووجهها خال من أي تعابير.

سألها بسخرية واضحة: «ماذا عن أصدقائها؟».

تنهدت باستسلام. ما الغاية من معاملته بقسوة في النهاية؟ من الحماقة إلقاء اللوم عليه. قالت: «كل ما يعرفونه هو أن ماك أخذها في رحلة رومنسية إلى مكان ما في رنغ كيري».

- إلى مكان ليس فيه هاتف، وهكذا لا تستطيع الاتصال لتطمئن على أطفالها؟

وهذا ما أغضب تيجان كثيراً. ربما يمكنها أن تشعر بالرضى لو استطاعت أن تحصل على بعض التفاصيل عن الفندق، لكنها لم تفكر بذلك في تلك اللحظة حين تم خداعها بمنتهى المكر والدهاء. قالت مدافعة عن أختها: «إنهما بحاجة إلى قضاء بعض الوقت بمفردهما».

هز براندن رأسه مستغرباً وهو يقول: «أنا لا أفهم مطلقاً أشخاصاً من هذا النوع».

بالطبع لن يفهم... ليس وهو يعيش حياة بسيطة سهلة، حيث يرى الوجود بمرآة سحرية. حياة لم ترها تيجان مطلقاً إلا في الأفلام السينمائية. من المحتمل ألا يفهم لماذا بدت إيمبر بمنتهى اليأس وهي تحاول جاهدة إنقاذ زواجها. شعرت بالغضب يجتاح معدتها. إنه لا يعلم أي شيء، وهي تكاد أن تراهن على أنه لم يشعر بالانزعاج في حياته إلا إذا صادف أن نفد لديه الحليب أثناء تناول الفطور.

بعد أن انتهى براندن من غسل فنجانه ووضعه في مكانه، استدار ونظر إلى وجهها. صمت للحظة عندما رأى شرارات الغضب تلمع في عينيها. حتى بعد كل هذه السنوات التي ابتعدا فيها عن بعضهما ما زال

يعرف الأدلة التي تحذره من أن شجاراً سيقع بينهما. من الواضح أنها غاضبة من أختها مثله تماماً في هذه الظروف الحرجة، لكنها ترفض أن تسمع أي كلمة سيئة تقال عنها. رفع كتفيه متخلياً عن متابعة الحديث في الموضوع، وقال: «حسناً! أنت تعرفين مكاني إذا احتجت إلى أي مساعدة».

بالطبع، تعرف! إنه يسكن تماماً في الجهة المقابلة لمنزلها... لكي يذكرها كل يوم بكل الأسباب التي يجب أن تدفعها إلى البقاء بعيدة عنه.

- شكراً لك على الاهتمام بهم اليوم.

- لا داعي للشكر.

تجهم وجهه للحظة، وكأن فكرة مهمة لمعت في رأسه. توازن على أطراف أصابع قدميه وكأنه سيخطو إلى الأمام مجدداً، ثم ابتسم ببساطة ابتسامة صغيرة وسار نحو باب منزلها الخلفي. قال: «سوف أقوم ببعض أعمال التوضيب في المنزل غداً، لذا سأكون هنا إن احتجت إلى أي مساعدة».

- حسناً! شكراً لك مرة ثانية.

مع أنها قالت له ذلك، لكنها علمت أنها ستفعل كل ما في وسعها لتضمن أنها لن تقدم على الاتصال به.

ما إن أغلقت الباب وراءه، حتى وقفت مكانها لفترة طويلة. ساد الصمت في المنزل، باستثناء الضجة القادمة من جهاز التلفزيون التي ذكرتها أنها ليست بمفردها في المنزل. في تلك اللحظات راودها ذلك الإحساس الذي يتملكها دائماً لكنها لم تسمح لنفسها يوماً بأن تعترف به. إنه إحساس بالفراغ والوحدة احتاجت إلى سنوات عديدة لتسيطر عليه وتدفنه حتى أمام نفسها، إلا أنها فشلت كما يبدو. رؤية براندن من جديد ذكرتها بأن هذا الاحساس موجود فعلاً، مع أنه مخبأ بطريقة جيدة، لكنه لم يرحل ولم تتمكن من التخلص منه. وربما لن تفعل ذلك مطلقاً...

مع ذلك، ربما ليست هي الوحيدة التي تحارب مثل هذا الاحساس.

مع أنها في هذه اللحظة بالذات ترغب في قتل أختها لأنها قامت برحلتها تلك في وقت غير مناسب مطلقاً، لكنها لا تستطيع أن تكرهها بسبب ذلك، لأنها تفهم شعورها. من المحتمل أن إيمير تريد حياة زوجية كاملة. تريد رجلاً قربها يجعلها تشعر بالحب والأمان، بينما اختارت تيجان أن تجد ذلك الأمان في عملها.

لم تشك تيجان للحظة أن أختها ستعود قريباً، فلا يمكن لإيمير أن تتخلى عن أطفالها. كل ما فعلته هو أنها ابتعدت عنهم قليلاً في محاولة منها لإنجاح التجربة الثانية في الزواج. أما تيجان فقد اتخذت قرارها منذ زمن بعيد؛ إنها الأقوى وسوف تعيش حياتها بمفردها. عليها أن تجد وسيلة للقيام بذلك من دون مساعدة براندن مكنامارا، فهي ليست بحاجة إلى من يذكرها أنها أوشكت على التصرف مثل أختها من خلال البحث عن السعادة مع رجل ما. على الرغم من أن حضور ذلك الرجل ما زال يحرك فيها ذكريات لم تستطع أبداً أن تنساها، إلا أنها لن تسمح لنفسها مطلقاً بأن تعتمد على أي شخص آخر في ما يتعلق بسعادتها الشخصية. إنها لم تتوقع يوماً أن تجد الحب الذي تتحدث عنه وتصفه أفلام السينما، لأنه ببساطة ليس موجوداً.

في الواقع تحمل تيجان ذكريات سيئة أكثر من أختها الصغرى، لذا راحت تعمل جاهدة لتتأكد أن إيمير سعيدة في حياتها. إن كان هذا يعني القيام بدور الأم فهذا ما ستفعله. إنها امرأة ناضجة وقادرة، وهي تستطيع معالجة المشاكل عندما تصادفها، كما تستطيع التحكم بأوقاتها. كل ما تحتاج إليه هو عدة أيام فقط. هذا ما قالته إيمير، وهي تستطيع التحمل والصبر ليومين إضافيين. عليها أن تجد طريقة للبقاء حية لليومين القادمين بدون براندن مكنامارا.

٣ - أريد المساعدة!

ابتسم براندن الذي يقف خلف نافذته، وراح يراقبها وهي تخرج الأطفال من منزلها وتدخلهم إلى سيارتها. كم تبدو منهكة! إنها نحيلة وذات قامة تصل إلى كتفه، أما شعرها الأسود فيتطاير على وجهها وهي تتحرك من باب السيارة إلى الباب الآخر. بدت حركات جسمها الرشيق متوترة وسريعة، وها هي ترفع شعرها إلى الوراء بحركة عصبية. اتسعت ابتسامته؛ بالرغم من المسافة التي تفصل بينهما بإمكانه أن يرى أن الثوب الذي ترتديه والمزدان بكشكش على حاشيته يناسبها. إنها فاتنة! ذكره ذلك أنها كانت كذلك أيضاً عندما كانت في الحادية والعشرين من عمرها.

لن يسمح لنفسه بأن يتذكر كيف كانت تبدو في الماضي. حتى شانون، الفتاة الشقراء التي نشرت صورها على صفحات المجلات، لم تؤثر به يوماً كما تفعل تيجان بحركة واحدة من شعرها الأسود الطويل أو بلمحة غمازتيها عندما تبتسم. من الصعب عليه جداً أن ينساها. لكنها مصممة على المضي قدماً بدون مساعدته، كما أنها لم تظهر أي حماس لتمضية أي وقت برفقته منذ أن انتقل للعيش في الجهة المقابلة لمنزلها. عليه أن يدرك من خلال تصرفاتها أنها ترغب بأن يدعها وشأنها. لكن كل ما تفعله يجعلها أكثر أهمية بالنسبة إليه. ربما يعود الأمر إلى الحماس الذي يشعر به في مطاردتها. في الواقع لم يقم براندن بملاحقة أي فتاة حتى التقى بتيجان ديلاني. وعندما نجح أخيراً في التودد إليها والتقرب منها فعلاً بعد سنوات طويلة من معرفتهما لبعضهما هربت مبتعدة عنه، كأنها تحاول الاختباء من نار تكاد تحرقها.

تمايل إلى الوراء ثم إلى الأمام على كرسيه الجلدي في مكتبه داخل منزله، تاركاً ذكرى ذلك العناق الوحيد يعود إلى ذهنه. وهذا لا يحدث للمرة الأولى أيضاً. لكن يبدو أن رؤيتها من جديد تفتح له باباً من الذكريات عمل على إغلاقه منذ فترة طويلة. إنه عناق وحيد! عناق رغب كثيراً في تكراره، وفكر في القيام بذلك لعدة شهور لاحقة. لكن إلى جانب ذكرى ذلك العناق هناك ذكرى أخرى؛ عندما فتحت عينيها ونظرت إليه بتعابير ملأى بالألم والعذاب جعلته يشعر كأن أحدهم ضربه ورماه أرضاً. بدا له كأن ذلك العناق البسيط العذب مزق قلبها. شخص ما في مكان ما سبب لها أذى لا ينتسى. لاشك لديه بذلك مطلقاً!

تنهد براندن وفكر أن هذه ليست مشكلته الآن. حسناً! هذا ما يقوله لنفسه باستمرار. النساء صاحبات الهموم والمشاكل لا يناسبنه. إنهن بحاجة إلى كثير من الصبر والتضحية بالنسبة إلى شخص نهض للتو من ورطة كبرى، ولديه ما يكفيه من المشاكل والهموم. عليه أن يركض متراجعاً إلى الوراء كالمجنون ليبقى بعيداً عن الآنسة تيجان ديلاني. لكنه بدلاً من ذلك ها هو يتطوع لمساعدتها المرة تلو الأخرى، بينما يبدو بوضوح أنها تفضل أن تأكل ذراعها بدلاً من طلب مساعدته. وهذا أمر مؤسف، حقاً! ما عليه القيام به هو البحث عن فتاة أقل تعقيداً ليس لديها ذلك التاريخ الذي يكبلها. أعاد انتباهه إلى النافذة ما إن اندفعت سيارتها عبر الشارع وما لبثت أن اختفت عن ناظريه. ما هي إلا لحظة حتى رأى باب منزلها الأمامي يفتح، ثم راقب بعينين واسعتين شخصاً صغير البنية يظهر أمامه. هل تركت واحداً من الأطفال وراءها؟

هز رأسه بحيرة، ونهض على الفور عن كرسيه. التقط مفاتيحه وسار بسرعة قصوى ليقطع الشارع من جديد.

- مرحباً جوني!

رفع جوني نظره إليه، ثم رمش بعينيه لعدة مرات قبل أن يجيبه: «مرحباً».

- خالتك تيجان كانت على عجلة من أمرها هذا الصباح على ما أعتقد!

وابتسم له.

أجاب الصبي: «هذا ما أظنه».

- أراهن أنها ستعود بعد أقل من دقيقة.

رفع جوني كتفيه بلا اهتمام.

نظر براندن إلى الشارع، ثم أعاد نظره إلى المنزل وسأله: «لا أعتقد أنك نسيت الباب مفتوحاً؟».

هز الصبي رأسه وقال: «لا أعتقد ذلك».

وقفا صامتين للحظة، بعد ذلك استدار براندن وجلس على حافة الدرج الحجري ثم قال: «حسناً! أعتقد أن من الأفضل أن ننتظرها. أنا متأكد أنها ستعود على الفور».

فكر الصبي للحظة، ثم جلس بجانبه. جلسا صامتين، ومر الوقت من دون أن ينبس أحدهما بكلمة.

قال براندن لنفسه لا بأس بذلك، فالصمت يناسبه. لكن بعد مرور عدة دقائق نظر حوله وسأل جوني: «أخبرني، كيف تجري الأمور؟».

- لا بأس!

- هل تعتني خالتك تيجان بك؟

- إنها تحاول.

هز براندن رأسه وقال: «هذا أمر جيد».

فكر أن يتحدث عن الطقس مع ولد في الثامنة من عمره، عندما أعلن جوني بنبرة جدية: «خالتي ليس لديها أطفال».

- لا! لا أطفال لديها.

- ولا أعتقد أنها تحب الأطفال كثيراً.

- أحقاً أنك تعتقد ذلك؟

استدار بجسمه نحو الطفل، وهو يشعر بالفضول ليسمع تتابع أفكاره.

سأله: «لماذا تقول هذا؟».

- إنها ترسلنا إلى النوم في ساعة مبكرة جداً.

رفع كتفيه من جديد قبل أن يتابع وهويحدق أمامه: «أعتقد أنها تفعل ذلك كي لا تلاعبنا».

قطب براندن جبينه ثم سأله: «في أي ساعة تضعكم في الأسرة؟».

- عند الساعة الثامنة.

لم يرَ أن هذا الوقت مبكر جداً، لذا سأله: «وإلى أي ساعة تسمح لك أمك بالبقاء مستيقظاً؟».

رفع الصبي كتفيه مرة ثانية وأجاب: «أحياناً أستطيع البقاء مستيقظاً حتى الساعة العاشرة إن لم يكن علي الذهاب إلى المدرسة في اليوم التالي».

- ألا تشعر بالتعب بسبب السهر؟

- أستطيع النوم حتى وقت متأخر في اليوم التالي.

- وماذا عن الأيام التي تذهب فيها إلى المدرسة؟

تلقى براندن جواباً من خلال رفع جوني لكتفيه، فهز براندن رأسه وكأنه تفهم ما الذي أراد جوني قوله. في هذا الوقت، سُمع صوت سيارة تقترب عن بعد، ثم ظهرت تيجان.

- أرأيت؟ ها هي هنا.

وقفا معاً ما إن توقفت السيارة في الطريق الخاصة للمنزل.

- ألم أطلب منك أن تصعد إلى السيارة؟

عبس براندن بسبب نبرتها الغاضبة، وقال لها: «هيه! لحظة من فضلك. لا تلقي اللوم على الطفل، لأنك لا تحسنين التأكد من وجودهم معك».

لمعت عينا تيجان بالغضب منه وقالت: «هذا الأمر لا يعنيك».

بدا لها كأنه قامته الفارعة تزداد طولاً وهويقول لها: «وأنت لا يحق لك أن تصابي بالجنون على طفل في الثامنة من عمره بسبب غلطة ارتكبتها بنفسك. انضجي!».

شعرت بكلماته تلسعها. كيف يمكن له أن يفهم لحظة الرعب التي أصابتها وجعلت قلبها يتوقف عن الخفقان عندما نظرت إلى المرآة الخلفية وأدركت أن أحد الأطفال مفقود؟ بدا لها أنها نسيت كيف تتنفس حتى استدارت ورأت جسمه الصغير على درج منزلها. قالت: «أصابني الرعب لدرجة أنني اعتقدت أن روحي هربت مني».

- حسناً! إظهار ذلك بالصراخ عليه ليس بالطريقة الجيدة. أليس كذلك؟

بعد سماعها لتعليقه الهادئ الصريح فتحت فمها لترد عليه، لكنها لم تستطع التفوه بأي كلمة. أطبقت فمها من جديد، ثم نظرت إلى الأسفل حيث يقف جوني منحني الرأس، فشعرت بموجة من الذنب تجتاحها.

تقدمت خطوة إلى الأمام، وقالت بصوت رقيق: «اعتقدت حقاً أنك صعدت إلى السيارة، جوني».

رفع الصبي ذقنه، ثم رمش بعينيه وتمتم: «آسف».

شعرت تيجان بضغط على حلقها. ليست غلطة ابن اختها أنها على عجلة من أمرها هذا الصباح، وليست غلطته أيضاً أنها احتاجت إلى وقت طويل حتى تمكنت من تجهيز كل واحد منهم، وأن أخته التي تبلغ الخامسة من عمرها أقدمت على سكب كأس الحليب والحبوب على نفسها، ما اضطر تيجان إلى نزع ثيابها عنها وتبديلها بثياب أخرى. وليست غلطته أيضاً أن خالته لا تستطيع القيام بعملها بكفاءة مع ثلاثة أطفال.

انحنت تيجان أمام الصبي حتى تمكنت من النظر مباشرة إلى عينيه، وقالت: «لا، أنا الآسفة. كان علي أن ألاحظ أنك لست في السيارة. عندما أدركت أنك لست هناك أصابني الرعب».

تنفست بعمق وقالت متلعثمة: «أنا فعلاً... لا أصلح لأكون خالة جيدة. أليس كذلك؟».

ابتسم جوني ابتسامة صغيرة، وقال: «أنت تقومين بعملك بطريقة جيدة».

ثم رفع نظره إلى براندن وتابع: «إلى اللقاء!».

- إلى اللقاء.

راقبه براندن وهو يسير نحو السيارة، ثم يفتح الباب ويصعد إلى داخلها. من جهة أخرى راقب تيجان الواقفة بقربه وهي تحدق بغضب باتجاهه. الاحساس بالذنب الذي ظهر جلياً على وجهها جعله يتراجع عن لومها. حاول أن يبتسم، فيما جالت عيناه عليها من شعرها الأشعث إلى الظلال التي لم تعمل على إخفائها تحت عينيها. سألها: «هل أمضيت صباحاً متعباً؟».

- لا علاقة لك مطلقاً بذلك.

أمسكت يده الكبيرة بذراعها بينما كانت تستدير لتعود إلى سيارتها، وقال: «لكنني عرضت عليك المساعدة».

أفلتت ذراعها من بين أصابعه وأجابت: «إنني بألف خير».

- من الواضح أنك لست كذلك، وإلا لما تركت وراءك طفلاً منهم.

سيعمل جاهداً لتوضيح بعض الحقائق ما دام هنا. تابع: «أنت لست معتادة على الاهتمام بالأطفال. أفهم ذلك. لكنك عنيدة جداً ومصممة على أن تكوني المرأة الخارقة، لدرجة أنك تفضلين الانتحار على طلب المساعدة. ما الذي فعلته لتكون مساعدتي عرضاً مخيفاً هكذا؟».

توهج وجهها كالنار وهي تحاول جاهدة البحث عن كلمات مناسبة.

هزّ براندن رأسه، وتابع بصوت هادئ ومنخفض: «أهذا كله بسبب عناق واحد حصل منذ مليون سنة؟».

إنها نبرة صوته الساحرة تماماً كما هو سؤاله! لو أنها لم تكن تراه شاباً رائعاً، لوجدت من السهل عليها أن تقول له أن يذهب إلى الجحيم بعد ذلك العناق الذي مر عليه زمن طويل. كل ما في الأمر هو أنها لا تستطيع أن تسمح لنفسها بالبقاء بقربه بمفردها. هذا ما فعلته حتى انتهت المرحلة الجامعية وأخذتهما الحياة في اتجاهين مختلفين. حدث ذلك منذ زمن طويل، ومع ذلك ها هو يقف أمامها هنا والآن، لذا تشعر تيجان كأن

كل ما مضى حدث البارحة فقط. لكن الواقع أن سيطرتها على نفسها تفلت منها بحضور هؤلاء الصغار الثلاثة الذين يتطلبون اهتمامات خاصة. كل ما قام به براندن هو أنه عانقها عناقاً صغيراً. وكما قال لها، حصل ذلك منذ مليون سنة. زاد ذلك من إحباطها، وبالمقابل ضاعف من غضبها منه. قالت بغضب واضح: «لماذا لا تهتم بشؤونك الخاصة كأي شخص آخر في هذا العالم؟».

عليه اللعنة إن كان يعرف السبب! قال: «ولماذا لا تتقبلين عرضاً بسيطاً بالمساعدة عندما يقدم لك؟».

- وصلت إلى ما أنا عليه اليوم بدون مساعدة أي كان، ولن أبدأ بالبحث عن المساعدة الآن.

ظهر تغضن على جبين براندن ما إن تفوهت بكلامها الذي ترافق مع حركة من كتفيها تظهر مدى عنادها. نظر إلى عينيها مباشرة، وللحظة رأى آثاراً من الألم فيهما، قبل أن تحرك رموشها الطويلة لتختبئ وراء قناع القوة الذي تضعه دائماً. أراد أن يعلم السبب. لماذا تعتمد دائماً على نفسها؟ لماذا تخلو حياتها من أي شخص ليساعدها؟

- لا أحد في العالم يعيش بمعزل عن الآخرين. كل شخص بحاجة إلى صديق. كم من الأمثال علي أن أقولها لك قبل أن تعترفي بأنها الحقيقة؟

تنفس براندن بهدوء، ونظر إلى الأطفال الثلاثة الجالسين بصمت في سيارتها، ثم أعاد النظر إلى عينيها الزمرديتين وتابع: «أنت تقومين بذلك لمساعدة أختك لأنها بحاجة إلى المساعدة، وأنا أقدم العرض نفسه لصديقة قديمة».

- وماذا ستجني من ذلك؟

مرر يده في شعره بإحباط واضح وقال: «تيجان! ألا أستطيع أن أكون جاراً ودوداً؟».

وعندما فتحت فمها لتتكلم، أكمل على الفور: «... أنا لا أعلم كيف جرت الأمور معك طوال تلك السنين، لكن بالنسبة إلي الجيران فهم

يساعدون بعضهم البعض دوماً، وهم لا يتوقعون أي أجر بالمقابل إلا أنهم سيجدون من يقف قربهم عندما يحتاجون إلى المساعدة».

وقفت تيجان فاغرة فمها إلى أن أنهى حديثه ثم أغلقته بقوة، فهي حقاً بحاجة إلى المساعدة. الحقيقة وببساطة تامة، أنه لو كان هناك جار آخر... أي جار آخر، لكان من المحتمل أن تتقبل مساعدته بسرعة البرق.

المشكلة كلها تكمن فيها. فهي لم تتمكن من نسيان تأثير ذلك العناق البسيط، حتى بعد مرور هذه السنين. إنها ما زالت منشغلة بذلك الانجذاب القوي القديم نحوه، فيما هو يحاول فقط أن يتصرف بود كأي جار طيب.

تنفست بعمق وهي تعلم أنها ستقفز إلى منطقة مجهولة بالنسبة لها... قالت: «حسناً!».

رمش براندن بجفونه للحظة قصيرة. ساوره الشك من تبدل حالها، فسألها: «حسناً... ماذا؟».

- حسناً! أنا بحاجة إلى بعض المساعدة.

ابتسم لها ابتسامة صغيرة وقال: «أرأيت؟ والآن، هل وجدت الأمر صعباً جداً؟».

لن يعرف الجواب مطلقاً بالطبع. زفرت تيجان بهدوء، وقالت: «عليك أن تبدأ منذ الآن، فأنا متأخرة جداً وعملي ليس سهلاً وكذلك المسؤولية الملقاة عليك، لكنني حذرتك. إن تمادوا باللهو والصراخ كما فعلوا هذا الصباح، فلا فرصة لديك للقيام بأي عمل مفيد لك قبل عودتي».

- لا بأس بذلك. أنا أعمل دائماً على إنجاز أعمالي قبل موعدها، لذلك لدي الوقت الكافي. وهذه من حسنات أن يكون للمرء عمله المستقل الذي يستطيع القيام به في منزله.

علمت تيجان أنه نجح جداً من خلال معرفته بعالم الكومبيوتر في

الجامعة، والنجاح الآخر الذي حققه هو عمله في تنظيم المواقع الإلكترونية. أجبرت نفسها على الابتسام عندما لمع في فكرها أنه قادر على مواعدة النساء من خلال عمله. قالت: «أكرهك من أجل ذلك».

ابتسم لها واحدة من تلك الابتسامات الساحرة لديه، ثم غمزها وهو يقول: «أبداً! أنت لا تكرهينني، بل أنت معجبة بي. لطالما كنت كذلك، لكنك لست راغبة في الاعتراف بذلك الآن. هذه هي الحقيقة».

ألا يشعر بالتعب من التفوه بالحقيقة دائماً؟ ما إن استدارت لتساعد الأطفال ليخرجوا من السيارة، حتى اعترفت لنفسها أنه على حق بشأن حقيقة حاسمة جداً؛ إنها حقاً معجبة به، ولطالما كانت كذلك. لكنها قادرة على التعامل مع هذا الاعجاب عن بعد. وهذا ما يناسبها تماماً، وهذا ما سيحدث عندما يعود أطفال أختها إلى منزلهم وهو إلى منزله. فهي لا تستطيع المخاطرة بأن تصبح صديقة له من جديد لأنها تعلم إلى أين أوصلتها تلك الصداقة في المرة السابقة.

***

إنها فكرة سيئة جداً. آه! أجل، وغلطة كبرى أيضاً.

علمت تيجان ذلك في اللحظة التي عادت فيها إلى منزلها في المساء ووجدته نائماً على الأريكة في غرفة الجلوس. لا يحق له أن يبدو بهذه الوسامة على أريكتها... في منزلها أو في أي مكان آخر. خلعت حذاءها لتريح قدميها عند الباب، وسارت بصمت على السجادة. جلست على المقعد المواجه له، وسمحت لنفسها بأن تتأمل ملامحه. بدأت من رأسه؛ يبدو شعره رائعاً على الدوام. إنه أشقر كالذهب وهنالك خصل تبدو كأن الشمس قبّلتها، وهذا أمر نادر في بلد تمطر فيه السماء بنسبة خمس وتسعين بالمئة من مجمل الأيام. جالت بعينيها فوق وجهه؛ يبدو وهو نائم كأنه ما زال في الثانية والعشرين من عمره، فوجهه ذو ملامح صبيانية وقد تورد خداه قليلاً بسبب النوم. لطالما لاحظت تيجان تورد خديه في وقت مبكر من النهار وأثناء لعب كرة القدم في فترة بعد الظهر والركض عبر الحرم

الجامعي ليصل إلى صفه. لكنها تعلم الآن أن خطوطاً تظهر عند زاويتي عينيه عندما يكون مستيقظاً وأن غمازتين عميقتين تظهران في خديه عندما يبتسم. عندئذٍ لا يبدو صبياني الملامح مطلقاً... فكرت أن ليس من العدل أن يبدو بهذه الوسامة. إذ كيف يمكن لأي شخص أن يمضي ذلك الوقت الطويل أمام جهاز الكومبيوتر من دون أن يتجمع طن من الدهون على جسمه؟

استدار براندن نحوها وهو يئن بصوت ضعيف جداً، فحبست أنفاسها. بقاؤها صامتة على هذا النحو يمنحها الوقت الكافي لتنظر إليه لفترة أطول وهي تشعر بالأمان. لكنه حرك جفونه وفتح عينيه، ثم رمش ببطء وهو ينظر إليها، وعندما تكلم بدا صوته منكهاً بالنوم والعمق والجاذبية: «متى أتيت إلى المنزل؟».

حركت تلك الكلمات مشاعر عميقة جداً في داخلها، فقالت: «وصلت للتو».

رفع جسمه على مرفقيه وحدق بها مطولاً: «تبدين أقل توتراً مقارنة بآخر مرة رأيتك فيها».

ابتسمت تيجان. من السهل عليها التحدث معه في موضوع لا تزال تملك السيطرة الكاملة عليه. قالت: «عرض المشروع تم بطريقة جيدة، وأعتقد أننا سنحصل على العقد».

- هذا خبر جيد!

أجبرت نفسها على النظر بعيداً عنه لتتجنب رؤية العينين الزرقاوين اللتين تنظران إليها بلمعان شديد. حاولت جاهدة أن تبقي صوتها طبيعياً وهي تسأل: «كيف جرت الأمور هنا؟».

ابتسم براندن وقال: «إنها رائعة! مع أنني لم أعلم من كان متعباً أكثر، أنا أم هم عندما خلدوا أخيراً إلى النوم».

- آه! أعلم كيف تجري هذه الأمور.

أسند رأسه على يده وهو يسأل: «كيف تعتقدين أن الناس يفعلون هذا

كل يوم؟».

- أنا حقاً لا أعرف.

ابتسمت له قبل أن تكمل: «ربما عليك أن تسأل أمك عن ذلك وتخبرني».

- اعتقدت أن الفتيات يأخذن هذه الأمور عن أمهاتهن!

إنه افتراض عادل! يحدث هذا في العالم الذي نشأ فيه، لكن تيجان لم تنشأ في وسط ذلك العالم. كل ما علمتها إياه أمها هو كيف تصبح عجوزاً قبل الأوان، وكيف تثقل كاهل الآخرين بالمسؤوليات التي لم تستطع يوماً تحملها. لكن الأهم من كل ذلك، هو أنها علمتها أن تكون دائمة الحذر، وأن تراقب بشدة كل ما تقوم به. أما الأكثر أهمية من ذلك كله فهو ألا ترتكب مطلقاً الأخطاء التي ارتكبتها أمها. راحت تنظر إلى براندن، وتساءلت ما الذي سيفكر فيه لو علم بذلك. بدا من السهل عليها ألا تخبره بالأمر عندما كانا صديقين من قبل، فتسمح له بأن يعتقد أنها عاشت طفولة عادية كتلك التي عاشها هو وكل من تبقى من أصدقائهما. في الواقع، الجامعة كانت المكان الأول الذي شعرت فيه أن العالم هو مكان للعيش براحة وسلام، ولو بشكل جزئي.

- ربما يجب أن تتزوج وتنجب أطفالاً، عندها يمكنك أن تخبرني كيف تجري هذه الأمور.

انخفضت نظرته نحو الأرض، وظللت الرموش الكثيفة عينيه للحظة وهو يبتسم بمرارة واستياء. بعدئذٍ قال: «لا أمل بذلك. جربت الزواج مرة، ولم تسر الأمور على ما يرام».

اتسعت عينا تيجان من الدهشة وهويدفع بنفسه ليجلس مستقيماً، ويرخي ساقيه الطويلتين على حافة الأريكة. قالت: «لم أعلم بذلك».

- لا. لا أظن أنك علمت، فنحن لم نكن على اتصال طوال تلك السنين الماضية.

لم يكن هناك أي مجال للاستمرار بالتواصل بينهما. لكن بالطبع كان

بإمكانها أن تسمع الخبر من خلال وسائل ترويج الشائعات القديمة ومن خلال الاتصالات الهاتفية المتقطعة. حتى إنها تتناول الغداء مع بعض الأصدقاء القدامى من وقت إلى آخر. لكن، لماذا سيفكر أحدهم بأن يخبرها بذلك؟ فقد أعلنت بوضوح أنها لا تريد معرفة أي شيء يتعلق بشخص يدعى براندن مكنامارا.

رفع براندن كتفيه وهوينظر مجدداً إلى عينيها ويقول: «لا عليك! فهذه الأمور تحدث دائماً».

بالطبع، إنها تحدث دائماً. لكن بالنسبة إلى شخص ينجح في كل ما يقوم به لا بد أن ذلك شكل له صدمة كبرى.

- لا بد أن الأمر كان قاسياً عليك. في الحقيقة... أنا آسفة جداً.

رفع كتفيه من جديد ثم مدّ يده ليمسك بحذائه وهويقول: «لا أحد مطلقاً يرغب بأن يفشل زواجه».

- أعتقد ذلك.

رفع نظره إليها، ثم ابتسم باستياء وقال: «لا تقلقي. أنا لن أضيف هموماً جديدة عليك بالبكاء والعويل في منزلك. مضى على ذلك وقت كافٍ».

- كم من الوقت مضى على ذلك؟

أجابها براندن بصوته الهادئ: «فترة كافية».

قطب جبينه وهوينظر إليها، ثم نهض على قدميه لينظر حوله في الغرفة ويتابع متسائلاً: «ألديك عمل غداً؟».

- أجل.

على عكس معظم سكان الأرض تعمل تيجان نصف نهار يوم السبت. ولم تفكر مرة أن هناك أي سوء لقيامها بذلك، فهذا هو عملها. لكنها لم تكن بحاجة لتعطي أي وقت لأي شخص قبل اليوم. قالت: «لكنني سأنتهي من عملي عند وقت الغداء، لهذا...؟».

هز رأسه بالموافقة وهو ينظر إلى حيث وضع سترته، وقال: «لا

مشكلة بذلك».

راقبته تيجان وهو يسحب السترة فوق رأسه. نظرت باهتمام إلى حركة عضلات ذراعيه، ولم تلاحظ أن رأسه ظهر من جديد وأنه ضبطها وهي تراقبه. التقت عيونهما، فحدقا ببعضهما لفترة شعرت تيجان خلالها بتيار كهربائي يسري بينهما. رمش براندن بعينيه عدة مرات، لكن تحديقه بها بقي ثابتاً. سألها: «إذاً، أنت لم تتزوجي بعد؟».

- لا!

شعرت بقلبها يدق بقوة أكثر في صدرها لمجرد سماعها سؤاله. ومع أنه طرح عليها السؤال نفسه من قبل، لكنها كادت تسمع صوتاً ما في عقلها الباطني يحاورها ويسألها.

- كيف يمكن لذلك أن يحدث؟

رفعت كتفيها وأجابت: «لا أعتقد أن الزواج يناسبني».

- أليس هناك شخص مهم في حياتك، إذاً؟

- لا!

شعرت تيجان بالقلق والتوتر. مررت طرف لسانها على شفتيها الجافتين، ثم نظرت بعيداً عن وجهه وأجابت: «لست مرتبطة مع أي شخص بعلاقة جدية تؤدي إلى الزواج».

أخفض صوته وهو يسألها: «وكيف يمكن ذلك؟».

إنه ليس الحديث الحميم الذي خططت أن تتبادله وإياه عندما تراه ثانية. عليها فعلاً أن تقول له بأن يهتم فقط بشؤونه الخاصة، لكن هذا الأسلوب لم ينجح حتى الآن. وحقيقة أنه أخبرها عن زواجه الفاشل جعلها تراه من منظار إنساني جديد. هذا لا يعني بالطبع أنها ستسرع لإخباره عن الأسباب النفسية العميقة لكونها عزباء لا تفكر مطلقاً بالزواج. لهذا لجأت إلى الحجة الأسهل التي طرأت على بالها فأجابت: «لا يفكر الجميع أن الزواج هو الطريق الأنسب للوصول إلى السعادة الكاملة».

www.liromancia.com

ضحكته الساخرة دفعتها للنظر من جديد إلى وجهه، فرأته يقلب شفتيه قبل أن يقول: «آه! أصبحت أدرك ذلك الآن».

قطبت جبينها وقالت معتذرة: «آه! براندن، أنا آسفة. عادة ما أكون أكثر حساسية تجاه مشاعر الآخرين».

فكر قليلاً بكلماتها، ثم سألها بفظاظة: «هل أنت حقاً كذلك؟».

جعلها سؤاله تتساءل هل أصبحت عديمة الشعور ولم تعد تفكر بأحد سواها؟ جلست مستقيمة الظهر على مقعدها الحريري الناعم وأجابته: «أجل. في الواقع، أنا كذلك».

- إذاً كيف يمكنك ألّا تدركي انطباع ابن اختك عنك بأنك لا تحبين الأطفال؟

- ماذا تقول؟

تجاهل براندن تحديقها به بعينين متسعتين، وتحرك إلى الوراء خطوة، ثم جلس على حافة الأريكة. قال لها: «اعتقدت أن كل ما في الأمر هو أنه منزعج لأنك ترسلينهم باكراً إلى النوم، لكنني سمعت المزيد من التعليقات اليوم. كما أن الصبي يحاول منع شقيقتيه من اللعب، مصراً عليهما أن تبقيا هادئتين وألّا تثيرا أي نوع من الفوضى وإلا ستصاب خالتهم تيجان بالجنون».

حدقت تيجان به كالمصدومة وسألته: «أهو يفعل ذلك؟».

هز براندن رأسه، وأجاب: «أظنه يعتقد أنهم إن لم يحسنوا التصرف فستحاولين إرسالهم إلى مكان آخر. إنهم يشعرون بعدم الأمان في وضعهم الحالي بسبب ابتعاد أمهم».

- إنها تحاول إنقاذ زواجها.

قفزت تيجان على الفور للدفاع عن أختها، فهذا ما تفعله طوال حياتها.

- أهذا لم تتصل بأطفالها لمدة ثلاثة أيام؟ كيف تظنين حالهم الآن؟ وما الذي يشعرون به؟

حسناً! هذا الأمر يزعجها أيضاً، لكنها انشغلت في تأمين الحاجات الضرورية ولم تفكر للحظة بالاهتمام بالأمور العاطفية للأطفال الثلاثة الذين وضعوا تحت رعايتها. التساؤل الذي طرحته على نفسها أصابها بصدمة حتى أعماق قلبها. لو أن إيمير ما تزال في عهدتها كما كان الوضع في السابق، لبقيت قربها كل ليلة تواسيها وتدعمها، وتضمها بين ذراعيها وتقول لها إنها تحبها. كم أصبحت متعصبة لاستقلاليتها، حتى إنها الآن لا تستطيع أن تقدم الدعم العاطفي الضروري لأي شخص تعتني به! تباً لما يحدث!

من دون أن تفكر أن براندن ما زال أمامها، سمحت للدموع أن تظهر في عينيها. إنها تخذل أطفال أختها وتفشل في رعايتهم.

قطب براندن جبينه عندما لمح الدموع تتساقط من بين رموشها. اقترب منها أكثر، ووضع مرفقيه على ركبتيه، ثم قال: «هيا! خففي عنك، تيجان. لا تبكي! اعتقدت فقط أنك يجب أن تعلمي بالأمر».

شهقت تيجان، وأدارت رأسها إلى الجهة الأخرى وهي تمسح دمعتها عن خدها. قالت: «أنت على حق. يجب أن أعلم. لكن الأمر الأكثر أهمية هو أنه كان يجدر بي التفكير بذلك بنفسي قبل الآن».

- كنت منهكة ومتوترة، ولست معتادة على الاعتناء بالأطفال. هذا كل شيء.

أبقى براندن صوته هادئاً وهو يحاول جاهداً ألا يقترب منها أو يضمها إليه ليخفف عنها، ليجعلها تشعر ببعض الدعم والمساندة. على الرغم من الشوق القوي الذي يدفعه للقيام بذلك. تابع: «أحياناً يستطيع الشخص الغريب أن يرى الأشياء بوضوح أكثر».

هزت تيجان رأسها، وقالت: «لكنهم في عهدتي، ومن واجبي أن أرى مدى انزعاجهم».

- جميعنا نرتكب الأخطاء عزيزتي!

تجاهلت كلماته اللطيفة، ونظرت إليه بحزن قائلة: «أنت لا تفهم ما

يجري هنا».

- حاولي أن تفهميني.

هزت رأسها من جديد محاولة أن تخفي دموعها، قالت بعد قليل: «كان عليّ التفكير بهم أكثر، بدلاً من القلق بشأن تأثير وجودهم على حياتي الخاصة. تصرفت بمنتهى الأنانية».

قال بصوت واضح وبهدوء مطلق: «لا! أختك هي من تصرفت بأنانية، وذلك بإلقاء أطفالها عليك من دون أي إنذار. لو كان لديك المزيد من الوقت لتخططي لاستقبالهم لاستطعت أن تمضي ساعات أقل في العمل ومزيداً من الوقت معهم. وما كان أي شيء من ذلك ليحدث».

مرة ثانية شعرت تيجان بحاجة إلى الدفاع عن إيمير على الفور، فقالت: «ما كانت لتفعل ذلك لو لم يكن الأمر طارئاً وضرورياً».

- أظن أنك أمضيت معظم حياتك وأنت تساعدينها للخروج من مأزق تلو الآخر. أليس كذلك؟

ورفع حاجبه ليؤكد سؤاله.

فكرت، كيف يمكنه أن يعرف كل ذلك؟

ابتسم لها قبل أن يتابع: «ما من داعٍ للإجابة. أرى الجواب واضحاً على وجهك».

ابتلعت تيجان غصة أخرى، وفتحت فمها لتقول أي شيء لتدافع عن أختها، لكن براندن تنفس بهدوء وتحدث بصوت ناعم كالحرير: «لدي فكرة، واعتقد أنها قد تساعدك لإصلاح الأمر معهم».

ضاقت عيناها من الشك، وسألته: «أي نوع من الأفكار؟».

٤ . نفحة من الماضي

- أنت تستمتعين بوقتك حقاً! اعترفي بذلك.

ابتسمت تيجان ورفعت ميغان لتضعها على خصرها، ثم نظرت إلى براندن بطرف عينها وأجابت: «حسناً! أعترف أنني سعيدة، لكن الأمر الأكثر أهمية هو أنهم سعداء. هذا هو سبب مجيئنا إلى هنا».

راقبت جوني وهو يمسك يد كاتي ويسير بقربها لتنظر إلى القرد داخل الحظيرة المسيجة. إنها المرة الأولى التي تتصل فيها تيجان بمكان عملها وتدعي أنها مريضة، بينما... ها هي هنا. لكن الأمر يستحق العناء. الاحساس بالذنب للتخلي عن عملها لم يزعجها وهي ترى السعادة على وجوه الأطفال الثلاثة، عندما وصلوا إلى حديقة الحيوانات في دوبلن. الرحلة إلى هنا فكرة عبقرية فقد جعلهم براندن يمضون نهاراً بكامله بالضحك والاستمتاع. قالت: «شكراً لك. فكرتك هذه رائعة بالفعل».

توقف عن المسير، ثم استدار لينظر إليها وهو يبتسم ويقول: «أنت على الرحب دائماً».

بدا كأن ابتسامته مسببة للعدوى، فلم تستطع تيجان إلا أن تضحك قبل أن تقول: «لا يمكن أن تكون حقيقياً. أليس كذلك؟».

رفع يديه الكبيرتين، وربت براحتيه على صدره الواسع وقال: «أنا حقيقي بدون أي شك».

هزت رأسها وعلقت: «أنت تستمتع هنا مثلهم تماماً. لا يفرح الرجل الناضج بزيارة حديقة الحيوانات، ولهذا السبب أنت تناسبهم جيداً. فالعمر العقلي لديك مماثل لأعمارهم».

www.elromancia.com

ضحك بصوت عالٍ وأجاب: «آه، لا! لا يمكنك الاعتماد على القول الشائع القديم «الرجال أطفال في قلوبهم». إنها حديقة الحيوانات تيجان، ومن المؤكد... بل إنه أمر إلزامي أن تستمتعي هنا. لا يمكنك أن تقولي لي إنك نشأت وكبرت في دوبلن ولم تأتي إلى هنا من قبل».

نظرت إلى الطفلين من جديد لتتأكد أنهما بأمان، وقالت: «بل أتيت في رحلة مدرسية إلى هنا».

تبع بنظراته المكان الذي تنظر إليه وعلق: «كنا نأتي إلى هنا كل مرة نزور فيها دوبلن مع والدي. وكانت تلك رحلة سنوية للعائلة».

أبقت عينيها على الطفلين، ما إن انتقلا لرؤية حظيرة مسيجة جديدة.

- لا بد أنك استمتعت كثيراً بذلك.

سمع شيئاً ما في نبرتها أثار انتباهه... شيء ما خفي، ربما يحمل في طياته بعض الامتعاض. اقترب منها بفضول، وتعمد أن تماثل خطواته الواسعة خطواتها. قال: «أنت حقاً سر غامض، تيجان ديلاني».

- أنا؟

- آه! أجل.

- لأنني لا أزور حديقة الحيوانات مرة في كل سنة؟

ابتسم لها براندن وأجاب: «حسناً! هذه واحدة. وهناك حقيقة أخرى هي أنك لا تصدقين في قرارة نفسك أن عليك الاستمتاع بهذه الزيارة. أليس كذلك؟».

- أعترف لك أنني شعرت بالتوتر عندما حدثتني عن القدوم إلى هنا.

- أنت تفضلين الموت على أن تدعي المرض. أليس كذلك؟

أدارت رأسها نحوه، وقالت وهي تبتسم: «آه! صحيح».

- همم!

هز برأسه، ورماها بنظرة سريعة ثم سألها: «ما يثير اهتمامي هو: كيف يمكن لامرأة بعمرك أن تعمل طيلة هذا الوقت، من دون أن تدعي المرض يوماً من أجل أن تحظى ببعض المرح والتسلية؟».

- أنا أستمتع كثيراً بحياتي، ولدي أوقات كثيرة من المرح.

رفع براندن حاجبه غير مصدق، وسألها: «وماذا تفعلين؟».

- عملي بحد ذاته أمر ممتع. فأنا أسافر إلى الأماكن الرائعة في كل أرجاء العالم، كما أنني أقابل عدداً كبيراً من الأشخاص المثيرين للاهتمام. وهذا بحد ذاته أمر ممتع.

- تفعلين ذلك لأنك وكيلة للسفر.

- ومستشارة لوكالة السفر أيضاً.

- لكن الأمر لا يشبه مطلقاً أخذ يوم إجازة للذهاب مع الأطفال إلى حديقة الحيوانات.

- لا. لا أعتقد أنه كذلك.

علمت تيجان أنه على حق في ما يقوله. تساءلت، ألا يتعب من كونه دائماً على حق؟ مادام على حق بشأن أمور كثيرة، فكيف يمكنه أن يخطئ بشأن أمر مهم جداً كالزواج؟ براندن هو من اقترح القيام بهذه الرحلة إلى حديقة الحيوانات، وإليه يعود الفضل في هذا الوقت الذي تمضيه بفرح وسعادة مع أطفال أختها، وهذا أمر لم يحدث من قبل. ذلك لا يعني أنها لم تكن تمضي معهم أي وقت، فهي تزورهم في أعياد مولدهم وفي الأعياد عامة، لكنهم لم يشعروا مرة برفقتها بمثل هذه السعادة. أليس كذلك؟

دفعتها حيرتها إلى التساؤل إن كان هناك شيء ما مفقود في شخصيتها يمنعها من الاستمتاع بهذا النوع من التسلية، أم أنها تبقي نفسها بعيدة عن الآخرين لتتجنب أي مسؤوليةعنهم في حياتها؟ أتراها تحاول أن تبقى على مسافة منهم منعاً لأي ارتباط عاطفي معهم؟ يا إلهي! هل أصبحت في وضع دفاعي الآن لدرجة أن حبها لثلاثة أطفال يشكل تهديداً لحريتها.

كم يحزنها الأمر ويربكها!

- آه! لا. أنت لن تفعلي ذلك.

بدا صوت براندن قريباً جداً منها حين توقف وأخذ ميغان من ذراعيها. راح يرفعها في الهواء مرات عدة قبل أن يحملها على ذراعه،

ويتابع: «لا مجال للانطواء على الذات اليوم».

- لم أكن أفكر بأي شيء.

راقبت وهي تبتسم كيف أخذت ميغان تضحك وهي تنظر إليه بفرح. من الواضح أن تأثيره على النساء قوي، حتى على الصغيرات جداً.

- بلى، هذا ما تفعلينه. أنا أتذكر تلك النظرة. اعتدت القيام بذلك عندما عرفتك في السابق، حيث تختبئين في عالم تيجان الخاص.

تورد خداها بالرغم عنها وقالت: «لا أستطيع التوقف عن ذلك إن كنت امرأة ذكية وأعتمد على التفكير في أغلب الأوقات».

- أنا لا أقول إنك لست ذكية. أنا فقط أقول إن لديك نزعة إلى التفكير بشكل دائم.

مرغ أنفه بشعر ميغان الأسود وقال بصوت طفولي: «بلى، هي تفعل ذلك. أليس كذلك ماغي؟».

- هل تعتقد أن هذا ما أفعله؟

عاد ليرمي ميغان في الهواء ويلتقطها وهو يتابع: «هذا ما أفكر به بالتحديد».

توقفا معاً بانسجام على بعد خطوات قليلة من الطفلين. بعد لحظة، تنهدت تيجان وقالت: «حسناً! ربما أنا أفكر كثيراً فعلاً».

ابتسم براندن بنعومة لدى سماعه اعترافها، وعلق بهدوء: «أرأيت؟ ها نحن نحرز بعض التقدم. ألا تعتقدين ذلك؟».

قطبت جبينها قليلاً وأجابت: «هل ترى أن هذا النهار نوع من العلاج النفسي لي؟ قل لي بصراحة».

- ربما هو علاج لنا جميعاً. الأطفال بحاجة إلى قضية نهار من المرح والتسلية مع خالتهم تيجان. وخالتهم تيجان بدون أي شك بحاجة إلى قضية نهار من المرح معهم، وأنا بحاجة إلى عذر لأذهب إلى حديقة الحيوانات من جديد. توقفت أمي عن اصطحابنا إلى هنا عندما بلغ أصغرنا الثامنة عشرة من عمره. إنه وقت مميز بالنسبة لي.

- يا لك من مسكين!

بعد لحظة من الصمت استدار براندن لمواجهتها. نظر إلى ملامحها متأملاً ثم قال: «هل أستطيع أن أطرح عليك سؤالاً؟».

شعرت تيجان بجفاف في فمها. آه! ما الذي سيسألها عنه الآن؟

عملت على تهدئة أنفاسها قبل أن تتكلم: «عن أي موضوع ستتكلم؟».

- آه... هيا! إن أخبرتك عما سأتكلم، وأنا لم أحصل بعد على الإذن، فقد لا أتمكن من طرح السؤال.

تنفست بعمق وتركت الفضول يسيطر عليها ثم قالت: «هيا! قل ما تريد».

- ما الذي حدث لنا؟

فتحت فمها من شدة الاستغراب والدهشة. عجباً، وتباً له!

- اعتقدت أننا كنا صديقين مقربين جداً.

تمكنت تيجان من إيجاد صوتها بصعوبة، فقالت: «نعم... كنا كذلك».

- إذاً، ما الذي حدث؟

أدارت وجهها بعيداً، ورمشت بعينيها لتتمكن من التفكير بأقل الأجوبة خطورة. فبين المساعدة التي يقدمها لها والأحاديث العميقة التي يتبادلانها هنا، كرهت أن تدمر ذلك كله من خلال إجابة فظة ووقحة، كقولها «لا تتحدث عن ذلك». قالت: «يبتعد الناس عن بعضهم في معظم الأحيان».

يعرف براندن الكلام المنمق والخالي من الحقيقة عندما يسمعه. قال: «أهذا ما تعتقدينه؟».

نظرت إليه بحيرة، فهز رأسه وتابع: «أنا لا أصدق ذلك».

- لا أهمية للأمر الآن.

- بل أعتقد أنه مهم جداً، وإلا لما كنت تحاولين بقوة أن تبعديني عنك

www.eromancia.com

منذ أن انتقلت للعيش في المنزل المواجه لمنزلك.

أصابت كلماته أعماق روحها. رأى ذلك من خلال رفعها المتعمد ولو بشكل بطيء لذقنها الناعم. ما قاله قبل قليل عن كونها سراً غامضاً أمر صحيح. شيء ما تغير في أفكارها ليلة البارحة عندما واجهها بطريقة سلوكها مع الأطفال، إذ لامست كلماته وتراً حساساً. الاحساس الذي يجعله يشعر بالمرارة من البقاء بعيداً عنها هو ذاته الذي يدفعه ليعرف ما هو ذلك الشيء. هل كان حقاً يعرفها جيداً كما كان يعتقد في السابق؟ أعاده هذا التفكير إلى السؤال الذي عذبه لوقت طويل جداً.

- هل عناقي لك أمر سيء لهذه الدرجة؟

- براندن...

- لا. هيا! أريد أن أعلم.

اقترب خطوة منها وهو لا يزال يرمي ميغان في الهواء ويلتقطها، ثم تابع: «ما كنت لأفعل ذلك لو لم أعتقد..».

- تعتقد ماذا؟

أصبح صوتها أكثر توتراً في محاولتها للدفاع عن نفسها أمام إصراره: «... أنني أشعر بالانجذاب نحوك؟ ألأننا كنا نتحدث مع بعضنا ظننت أنني جاهزة للارتماء بين ذراعيك؟».

توقف عن ملاعبة الفتاة وهو يتجهم ويقطب جبينه من كلامها.

- تيجان! كان ذلك عناقاً يتيماً، ومن الصعب القول إنها عملية إغواء أو ما شابه. لو أنني رغبت بذلك لقمت بعمل أفضل.

إنه كلام يحمل في طياته الكثير من التفاخر، وهذا ما لم تسمعه مطلقاً منه من قبل. ذلك زاد من انزعاجها فقالت: «أستطيع المراهنة على أنك لست معتاداً على التعامل مع فتاة ليست مستعدة للارتماء في أحضانك. لابد أن هذا هو السبب الذي جعلني جذابة بنظرك».

- ليتني لم أسألك مطلقاً الآن، فليس هذا ما كنت أريد معرفته.

- لكن ما أقوله صحيح. أليس كذلك؟ كانت لديك العشرات من

الفتيات اللواتي يلاحقنك، مع ذلك اخترت الفتاة الوحيدة التي لم تكترث لك. ما الذي جعلك تفكر بمعانقتي؟

تذمرت ميغان لتجبر براندن أن يركز عليها من جديد وأن يتابع ملاعبتها كالسابق. تنفس براندن بعمق مرات عدة وانتظر حتى تتبدد تلك الكلمات الغاضبة التي تبادلاها في الهواء، ثم أجاب بهدوء لم يكن يشعر به في داخله، فقال بنبرة واقعية: «لأنني كنت أفكر بمعانقتك منذ وقت طويل جداً، وتلك بدت لي الفرصة الأولى».

اتسعت عيناها الخضراوان بدهشة.

ابتسم براندن بنعومة. من الواضح أنها لم تتوقع ذلك. سألها: «أما كنت تعرفين ذلك؟».

هزت رأسها من جانب إلى الآخر، فالتصقت أطراف شعرها بشفتيها.

راقبها وهي ترفع يدها لتبعد الشعر عن وجهها، وعلى الفور شعر برغبة قوية لمعانقتها من جديد. وكأن نقاشهما الحاد جعله يشعر فجأة أن عناقها حاجة ملحة، لكنه هذه المرة يملك من الحكمة ما يكفي كي لا يحاول. قال: «لم أكن أسعى وراء مغامرة عابرة معك. كنت مهتماً بك في ذلك الوقت، وأردت أن نصبح أكثر من مجرد صديقين متفاهمين».

- لهذا السبب ما كان يجب أن يحدث بيننا أي تفاهم مطلقاً.

بدت متفاجئة مثله تماماً مما قالته. رمشت بجفونها السوداء مرات عدة قبل أن تدير وجهها بعيداً عنه، لم يفهم براندن شيئاً، فقال: «أنا لا أفهم».

اجبرت نفسها على إبقاء صوتها حاسماً وقوياً: «أعرف أنك لا تفهم. لكن هذه هي الحقيقة. لذلك لا جدوى من الحديث عن الأمر».

لم يستوعب براندن حقاً عما تتكلم، فعلق: «ما زلت لا أفهم ما تقولين».

تنهدت تيجان، وأخفضت ذقنها لتنظر إلى الأسفل وقالت: «ما كنت

لأرضى مطلقاً بالارتباط بك بأي طريقة ممكنة، لذلك لم يكن هناك من جدوى لبقائنا معاً. بدا لي أن من الأفضل أن أبقى بعيدة عنك، وهكذا يمكنك أن تلتقي بفتاة أخرى تغرم بها، وتعيش معها بسعادة».

ساد الصمت الثقيل للحظة قبل أن يقول: «لكن ذلك لم ينجح معي».

عندما رفعت رأسها رأت أنه استدار مبتعداً عنها. شعرت بحاجة ملحة لتمد يدها وتمسك بيده، لتقول له إنها آسفة لأنه لم يحصل على ما يريده، لكن تلك ليست غلطتها. عليها أن تتوقف عن التفكير بمواساة الآخرين. لو أنها امرأة أخرى لربما سمحت لتلك العلاقة أن تتطور وتصبح أشد عمقاً وأكثر سحراً. لكن تيجان لا تؤمن بالأحلام.

- ليت زواجك نجح واستمر، براندن. أنا فعلاً أتمنى لك ذلك.

أصبح صوتها ناعماً كالهمس وهي تتابع بكلمات نابعة من القلب: «أعلم أنك ترغب بإنشاء عائلة، لكن ذلك ما كان ليحدث أبداً معي. صدقني، فأنا لا أعرف شيئاً عن ماهية العائلة السعيدة».

حدقت به وهو يحمل طفلة بريئة بين ذراعيه، فشعرت بألم في صدرها لم ترغب مطلقاً بالتعرف عليه. أسرعت بالسير لتنضم إلى الطفلين الآخرين.

وقف براندن مكانه كالمصعوق بعد مغادرتها. دفع ميغان في الهواء مرات عدة وهو يتجنب أصابعها الرقيقة وهي تمسك بأنفه، بينما راح يراقب تيجان تقترب من ابن أختها وشقيقته. لاحظ كيف أشرق وجها الطفلين على الفور لدى رؤيتها. إن كانت لا تعرف شيئاً عن العائلة السعيدة فردة فعلها إزاء الارتباط منطقية وطبيعية. إنها لا تثق بنفسها لترتبط برجل، لأنها غير قادرة على الاعتناء بأحد. عليه أن يقرر الآن إن كان مستعداً لتقديم تلك الدفعة العنيفة نحو الاتجاه الصحيح أم لا. لأنه يزداد رغبة في التقرب منها كلما أمضى المزيد من الوقت برفقتها.

٥ - رحلة وسؤال

بدأت تيجان تشعر بالقلق.

لم تتصل إيمير بعد لتسأل عن الأطفال. ومع أن تيجان تفهمت ذلك في الأيام الأولى القليلة فيما أختها تحاول أن تنهي مشاكلها مع ماك، لكنها بدأت تشعر بالقلق بعد مرور هذه الفترة من دون اتصال هاتفي واحد. كما أن التوتر الضمني بينها وبين براندن زاد من اضطرابها. شعورها الدائم بالقلق على أختها بالإضافة إلى وجود براندن بقربها، لا سيما بعد تلك المناقشة التي جرت بينهما في حديقة الحيوانات، أصبحا يسببان لها ألماً قوياً ودائماً. إنها تسير على خيط رفيع بين السيطرة على نفسها والصراخ كالمجنونة. والآن بدأ هذا التوتر يؤثر على عملها.

- هل أنت بخير، تيجان؟

رفعت نظرها عن شاشة الكومبيوتر أمامها لتنظر إلى ستيفن كونولي، وقالت: «إنني بخير، حقاً».

ستيفن هو مديرها في الشركة منذ ثماني سنوات. اتكأ على حافة مكتبها، ثم رفع حاجبه متسائلاً وهو يقول: «أنت لا تبدين على طبيعتك هذا النهار. سمعت أنك كنت مريضة نهار السبت».

شعرت تيجان بطعنة من الذنب تضاف إلى تلك المشاعر المتضاربة التي تتحرك بعنف في داخلها. للحظة قصيرة شعرت أن تلك الانفعالات تصيبها بالمرض فعلاً، لكنها قالت: «إنني بخير».

- إن تعرضت لفيروس ما أو كنت مصابة بمرض ما عليك أن تأخذي قسطاً من الراحة، فليس من عادتك التغيب عن العمل من أجل لا شيء.

تجنبت النظر إلى عينيه، وبدلاً من التحدث إليه وجهاً لوجه ركزت على المعلومات المعروضة أمامها على الشاشة وهي تجيب: «كل ما في الأمر أنني أريد التأكد من أنني أقوم بالحجز بطريقة مثلى قبل أن أبعث الرسالة. فالحجز هذه المرة كبير ومهم».

نظر ستيفن إلى الشاشة، ثم مال إلى الأمام قليلاً ليضيف بعض الحميمية إلى صوته المنخفض وهو يقول: «تيجان؟».

رفعت عينيها إليه وأجابت: «نعم؟».

- لم يساورني القلق يوماً بشأن مدى جدارتك في القيام بعملك، فأنت أفضل موظفة هنا.

تورد خداها بسبب إطرائه، أما هو فتابع قائلاً: «لكن ما يميز المدير الجيد هو اهتمامه بأفضل موظفيه. والآن، أنا أشعر بالقلق عليك لأنك ترهقين نفسك كثيراً».

نظر إلى وجهها متأملاً، وسألها: «ماذا يمكنني أن أفعل لمساعدتك؟».

ابتلعت تيجان غصة في حلقها، وأجبرت نفسها على استجماع قوتها كي لا تبدأ بالبكاء أمام رجل آخر الآن. ما الذي يحدث لها مؤخراً؟ أحد الأسباب التي دفعتها للبقاء هنا طوال هذه المدة مع مديرها الحالي شعورها بأنها جزء من فريق العمل، وليست مجرد موظفة. فهم يعملون معاً لتحقيق أهدافهم، ويسهرون الليالي معاً عندما يحتاج الأمر لذلك، ويحتفلون معاً عندما تسير الأمور على ما يرام.

هذا الرجل الرمادي الشعر المتكئ على مكتبها هو الراعي والأب لتلك العائلة، ذلك أن اهتمامه بأفراد الفريق أشبه باهتمام الأب الصالح بأولاده. سألها: «هل أنت بحاجة إلى الابتعاد عن العمل لفترة من الوقت؟».

لو أن هذه الفكرة طرأت على ذهنها في حياتها العادية لشعرت تيجان بالخوف لدرجة الموت، فعملها هو الشيء الأكثر أهمية في حياتها كلها. لكن بعد أن أمضت عطلة الأسبوع مع الأطفال باتت الآن تشعر بشوق

كبير لهم بعد أن عادت إلى المكتب. بدا الأمر سيئاً جداً نهار الإثنين، أما اليوم، الأربعاء، فهي ترى أن غيابها عنهم بغيض جداً بل مرعب. تساءلت، كيف بحق السماء تستطيع الأم الابتعاد عن أطفالها؟

- أعتقد... ربما أنا بحاجة إلى عطلة ما. أنا آسفة، ستيفن.

- هذا هراء!

ربت على يدها التي تمسك بفأرة جهاز الكومبيوتر، وتابع: «حان الوقت لتأخذي قسطاً من الراحة. كلنا بحاجة إلى أخذ إجازة بين الحين والآخر. أنا دائماً أقول لك إنك تجهدين نفسك بالعمل كثيراً».

ابتسمت تيجان له بعاطفة واضحة، وقالت: «شكراً لك. سآخذ هذا المشروع معي إلى المنزل، وأرسله بواسطة البريد الإلكتروني».

- هذا أمر جيد.

وقف ستيفن واستدار ليسير نحو مكتبه. ثم توقف ونظر إليها من جديد، وتابع: «خذي قدر ما تحتاجين من وقت، واعلمي أن عملك هنا سيبقى دائماً بانتظارك».

فجأة شعرت تيجان بالامتنان لعائلتها البديلة. لكن الحقيقة وبكل بساطة هي أن لديها عائلة الآن، وهي بحاجة لها في هذه الفترة بالذات.

* * *

- عدت إلى البيت باكراً!

ابتسمت للمشهد الذي لاقاها في منزلها، مع أنها كانت لتصاب بالرعب لو أنها رأته منذ أسبوع فقط. بدت غرفة الجلوس الأنيقة مليئة بالأغطية والوسائد الموزعة في كل مكان، ووجوه الأطفال تُطل من حولها. بدا لها كأن المكان تعرض للسطو.

- مرحباً، خالتي تيجان! تعالي والعبي معنا.

أسقطت تيجان حقيبتها على الأرض، ووضعت ملف العمل على الطاولة، ثم ابتسمت لكاتي وقالت: «ماذا تلعبون؟».

زحف جوني من تحت الغطاء وأجاب: «نحن نبني خيماً في الغابة».

قهقهت كاتي وأكملت: «براندن هو أحد وحوش الغابة».

ضحكت تيجان حتى ظهرت غمازتاها وهي تقول: «آه! أعلم ذلك».

ابتسم لها براندن ابتسامة خاصة. فلاقت ابتسامته بتصرف طفولي حيث مدت لسانها له. تصرف بعيد جداً عن شخصيتها الوقورة، وهذا ما دعاها للضحك مما فعلته. ضحك براندن بدوره وقال: «هيا! تعالي والعبي معنا».

بطريقة ما بدت لها الدعوة ذات معنى جديد وخاص جداً عندما تلفظ بها. شكل خيالها صورة عقلية حية لنوع الألعاب التي يمارسها البالغون في محيط من الوسائد الناعمة والأغطية.

رأى براندن التوهج الذي لامس خديها فاستمر في الابتسام وهو يقول: «لا تشعري بالخجل».

- من فضلك، خالتي تيجان!

قفزت كاتي مرات عدة وضمت يديها إلى بعضهما لتزيد من قوة إقناعها لخالتها، ما دفع ميغان لتضحك بصوت عال، وهي تزحف حولها على الأرض. لم تستطع تيجان أن تتذكر آخر مرة قامت بعمل أي شيء يمكن وصفه بالطفولي. وتساءلت من أين ستبدأ؟

- جبانة!

تحديه أجبرها على التقدم. نزعت حذاءها، ولم تتوقف حتى لتفكر بما سيحل بسروالها ذي القماش الكتاني الناعم من جراء زحفها على الأرض. ظهر التجهم على وجهها، وقلبت شفتيها لتظهر أنها خائفة، فيما ربضت وراء كاتي التي زعقت بصوت عال وزحفت بسرعة لتدخل إلى الخيمة. بعد مرور عشرين دقيقة وجدت تيجان نفسها مرهقة من كثرة الحركة، فيما أصبح شعرها وثيابها مجعدة بشكل كامل كما لو أنها تعرضت لانفجار عنيف.

سُمع صراخ الطفلين الآخرين وهما يتحدثان عن شيء ما له علاقة بالعصير، بينما كانت ميغان تغط في النوم على الأريكة. ظهر براندن من

تحت الغطاء «الخيمة». ونادى: «احضرا لنا أيضاً بعض العصير، من فضلكما».

- سيعيثون الفوضى الآن في المطبخ، كما تعلم.

اتكأت تيجان على حافة الأريكة، وأمسكت بحاشية قميصها الأمامية، ولوحت بها أمام وجهها لتشعر ببعض البرودة.

- هناك احتمال كبير لحدوث ذلك.

جلس قربها وكتفه تلامس كتفها، ثم وكزها على ضلوعها وهو يبتسم قائلاً: «أظنك ساهمت في نشر هذه الفوضى هنا، يا آنسة».

- أحقاً؟ لا أظن.

ضحكت بصوت عالٍ، وحاولت الابتعاد عن لمسته.

رفع براندن حاجبه، وما لبث المكر أن لمع في عينيه وهو يقول: «هل تتأثرين بالدغدغة؟».

- لا!

أجابت بسرعة قصوى، فلمعت أسنانه من خلال الضوء الخافت المتسلل إلى الخيمة، ولامست يداه ضلوعها من جديد ثم قال بالرغم من صراخها وضحكها: «أنت كذلك».

ضحكت وهي تحاول التخلص منه: «توقف! أقول ذلك بجدية!».

وعندما حاولت أن تستدير لتبتعد عنه، ثبتها مكانها بذراعه الطويلة وتابع دغدغتها بيده الأخرى، حتى انهمرت الدموع على وجهها وشعرت بالألم في حلقها من شدة الضحك. عندما توقف عن دغدغتها وجدا نفسيهما يحدقان ببعضهما ويتنفسان بصعوبة. آه! أجل. ها هو التوتر يلفهما من جديد. شعرت تيجان بانقباض في عضلات معدتها. لا شك أنه يفكر في معانقتها. لكن... يا للغرابة! على العكس مما حصل في تلك اللحظة منذ سنوات عندما راودها ذات الادراك. هذه المرة لم يكن هناك صوت في رأسها يحذرها قائلاً: «آه، لا».

هكذا بكل بساطة: عناق في خيمة على الأرض في غرفة الجلوس في

منزلها، بعد ظهر أحد الأيام وهما يلعبان مع ثلاثة أطفال في مشهد عائلي...

تباً! إنه يريد معانقتها... إنه فعلاً يريد ذلك، لكنها ستهرب مسافة ميل أو أكثر. أليس كذلك؟

مرر إبهامه من دون وعي منه على عنقها، فشعر باضطراب أنفاسها. تباً! إنه يدرك تماماً مدى توقه إليها، ويعرف تماماً ما عليه القيام به.

هذه المرة هي لا تحاول الهرب بعيداً. أليس كذلك؟

- أحضرنا لكما العصير.

أغمض براندن عينيه للحظة قصيرة. آه! أنقذه وصول الطفلين من أفكاره المضطربة. بعدئذٍ فتح عينيه فوجد تيجان تبتسم له. همست: «أنقذك وصول العصير».

- شكراً كاتي. سنخرج من الخيمة على الفور.

- سنضع العصير على الطاولة.

ابتسم براندن إلى تيجان، وقال بصوت مرتفع: «شكراً جوني».

سمعا صوت وضع الكوبين على الطاولة، لكنهما لم يتحركا. بعد لحظة، قاد براندن الحديث إلى موضوع عادي وعام، فسألها: «ماذا يفعل الوالدان برأيك للحصول على وقت للتسلية؟».

نظرت تيجان نحو الفجوة في خيمتهما، ثم عادت لتنظر إليه وهي تقول: «أنا حقاً لا أعلم».

احتاج للحظة ليتمكن من الجلوس بارتياح قربها. أبقى يده على كتفها وهو يسألها بصوت عميق منخفض: «ماذا كان والداك يفعلان؟».

أجفلت على الفور.

راح براندن يحرك إبهامه على كتفها إلى الأمام وإلى الوراء بحركة ملطفة، ثم سألها: «هل الأمر بهذا السوء؟».

هزت تيجان رأسها وهي تحرك حاجبيها مؤكدة صحة كلامه.

- اخبريني عنهما.

هزت رأسها من جديد وقالت: «أفضل ألا أفعل».

- أما زالا على قيد الحياة؟

- لا.

تنفست بعمق ورفعت نظرها إلى الغطاء فوق رأسها، ثم ألقت عليه الوقائع كأنها تقرأ قائمة للتسوق: «توفيت أمي وأنا في السادسة عشر من عمري. أما أبي فتوفي منذ ست سنوات».

- يؤسفني ذلك.

أضاف وهو ينظر إلى عينيها بثبات وتأكيد واضحين: «لا بد أن وفاتهما آلمتك».

- كانت الحياة أكثر قساوة عندما كانا معاً، إن أردتني أن أقول لك الحقيقة بكل نزاهة.

لم تفته تلك النبرة الخالية من كل إحساس. سألها: «ألهذا السبب قررت ألا ترتبطي بأي علاقة جدية؟».

هذا أيضاً سؤال آخر من تلك الأسئلة الدقيقة، والتي تكاد تصل إلى الحقيقة كلها. علمت أن عليها استعمال سؤاله هذا كحجة للابتعاد عنه ولإبعاده عنها من جديد، لكن لمسته الناعمة والاحساس بالأمان الذي لفهما داخل الخيمة جعلاها لا تشعر بالرغبة في الهرب. ربما سيتفهم أسبابها ويدرك أنه لن يستطيع تبديل رأيها إن أخبرته ببعض الأمور التي جعلت شخصيتها كما هي اليوم.

تنفست تيجان بهدوء، وأقنعت نفسها أن الأمر يستحق المحاولة، ثم قالت: «أجل. ما تقوله صحيح».

- مع أنك لن تقدمي على ارتكاب الأخطاء التي ارتكباها.

- لا! بالطبع لن أفعل. لكن من الأسهل علي أن أبقى بمفردي.

شعر براندن بخيبة الأمل من تفكيرها هذا. أين روح المواجهة لديها؟

عندما تعرف عليها في السابق كانت مقدامة ومصممة على الوصول إلى كل ما تصبو إليه، ولا شك أن تلك القدرة على النضال ساعدتها في

عملها. سألها: «هل قمت بأي محاولة؟».

مجرد التفكير بالأمر يزعجها كثيراً ويجعلها تشعر بالغضب. قالت: «لدي العديد من الأصدقاء».

بالطبع لديها أصدقاء، لكنها تعمل دائماً على صد أي شخص يفكر بعلاقة جدية معها.

- لكنك تحرصين على التأكد أن لا أحد منهم يفكر بالارتباط الأبدي. أليس كذلك؟

آه! صحيح. والآن ها هو يقرأ أفكارها. لم تجب عن سؤاله.

- ألا تظنين أنك بذلك تخسرين شيئاً ما؟

- أتعني أن لكل امرأة رجل أحلامها؟

هز براندن رأسه موافقاً، نظرت إليه بعينين ضيقتين وسألته: «أما زلت تؤمن بذلك بعد انهيار زواجك؟».

إنه سؤال محق! استمر في النظر إلى عينيها وهو يجيب: «علي أن أؤمن بذلك. كل ما في الأمر أنني أخطأت في زواجي الأول. هذا كل شيء. الناس يرتكبون الأخطاء أحياناً، لكن هذا لا يعني أن ليس هناك حياة ساحرة وواعدة تنتظرهم في مكان ما».

رمشت تيجان بجفونها وقالت بسخرية: «يبدو أنك قرأت الكثير من القصص الخيالية».

- وأنت امرأة ساخرة إلى درجة محزنة.

- لا! أنا فقط واقعية، فالعالم الذي نعيش فيه مليء بالحزن.

شعر بقلبه ينفطر ما إن أسدلت جفونها على عينيها. إنها تبعده عنها من جديد، وهو لا يريد أن يبتعد. هذه الأحاديث تؤثر به وتدفعه إلى طلب المزيد. إنها تشعره برغبة قوية في أن يثبت لها أنها مخطئة... لأجله تماماً كما هو لأجلها. منذ سنة فقط كان ليوافقها تقريباً في كل ما قالته له الآن. حاولت أن تتحرك لتبتعد عنه، فضغط بيده على كتفها. قال يسألها: «أما زلت تفكرين كذلك مع وجود هؤلاء الأطفال الرائعين

بقربك؟ أمضيت وقتاً مليئاً بالمرح اليوم معهم، وضحكت مثلهم تماماً. لا شيء يدعو إلى الحزن أو الخوف قربهم».

- إنهم أطفال رائعون!

- إنهم حقاً مدهشون. هناك نوع من السحر برفقتهم. ألا ترين ذلك؟

إنه على حق!

- الفضل بذلك يعود إلى إيمير. فهي تحبهم حتى العبادة.

- لكن ليس بالقدر الكافي لتتصل وتسأل عنهم.

قطب جبينه فظهرت بعض التجاعيد بين عينيه وهو ينظر مفكراً بالمعلومات الجديدة التي عرفها الآن. قال: «لديها الكثير من المعاناة هي أيضاً بسبب نشأتكما تلك. أليس كذلك؟».

إنها المرة الأولى التي يبدي فيها تفهمه لأختها ما جعل تيجان تزداد رقة نحوه. نظرت إلى الفجوة بين الأغطية ورفعت رأسها قليلاً لتسمع حركة الطفلين. سمعت صوتيهما في المطبخ فأعادت نظراتها إليه مقررة أنها تستطيع وضع ثقتها به مرة أخرى. أصبح الأمر عادة لديها...

- أجل. ما تقوله صحيح. لكنني استغرب أن تمضي كل هذا الوقت من دون الاتصال بهم.

عاودها ذلك الاحساس بالقلق في صدرها وامتد إلى معدتها فانقبضت. تابعت: «أنا قلقة حقاً».

- هل تعتقدين أن سوءاً ما أصابها؟

تضاعف ألمها وهي تجيب: «لا أعلم. لكن ليس من عادتها أن تتصرف على هذا النحو».

- ماذا يمكننا أن نفعل؟

يمكننا... نحن؟! الكلمة بحد ذاتها أصابتها بالدهشة، فهذه الكلمة الصغيرة تحمل قوة كبيرة. «نحن» كلمة لم تكن في دفترها من قبل، فهي تعني أنها لن تكون بمفردها، وأن هناك شخصاً ما تستطيع الاعتماد عليه

حين تشعر بالخوف أو حين تفتقد إلى الشجاعة الكافية للمضي قدماً. إنها تعني المشاركة والاهتمام بالآخر، كما توحي بمشاركة حميمة تتجاوز أي علاقة جسدية... لكنها تخيفها.

أصبح صوتها بارداً وعملياً جداً وهي تقول: «أخذت إجازة، لذا يمكنني تدبر الأمر بنفسي».

- حسناً! إذاً سنرى إن كنا نستطيع إيجادها.

ها هو يعود إلى كلمة «نحن» ثانية.

- لا! لا بأس... أعطيتنا ما يكفي من وقتك حتى الآن. يمكنني أن أتولى الأمر من هنا.

بدا كلامها كصفعة على وجهه. نزع براندن يده بهدوء عن كتفها، وقال: «فهمت!».

شعرت تيجان بقلبها ينقبض بألم، فحاولت التراجع: «هذا لا يعني أنني لم أقدر كل ما فعلته...».

هزّ رأسه، وابتعد عنها قائلاً: «بالطبع».

أغمضت عينيها عندما رأته يبتعد. عليها أن تجد طريقة لتعلمه كم كانت مساعدته مهمة لها من دون أن تشجعه على رؤيتها من جديد، إذ لا بد أن يأتي الوقت الذي ستطلب منه الرحيل فيه. بطريقة ما، بدا لها أن إبعاده عنها ليس بالأمر السهل الذي تصورته. مجرد التفكير بالأمر يسبب لها عذاباً يفوق العذاب القديم. تمكنت من الوقوف خلال لحظات، وأخذت تمرر يديها على سروالها لترتبه. رأته يربط شريط حذائه الرياضي وهو جالس على الكرسي الوحيد الفارغ في الغرفة.

- أنا متأكدة أن الأطفال سيسعدون كثيراً إن بقيت لتناول العشاء معنا.

لم يرفع نظره إليها، بل قال: «الأطفال...! بدون شك».

برودته وذلك الألم الذي أحست به في صدرها أظهرا بوضوح الاحباط في صوتها وهي تقول: «ما الذي تريده مني، براندن؟ أخبرتك

قبل الآن أن الحياة لم تكن سهلة معي».

- أجل، فعلتِ.

أنهى عقد شريط حذائه بعصبية واضحة ووقف فجأة. بدا كالبرج قرب جسمها الصغير وهو يتابع: «لكن ما لم تفعليه هو الاعتراف بسبب رغبتك القوية بإبعادي عنك كلما حظيت بفرصة ما».

شعرت أنها صغيرة جداً وأن حجمه الكبير وجاذبيته المطلقة يسيطران عليها. تنفست بعمق لتحظى بشجاعة كافية كي تميل برأسها إلى الوراء وتنظر إلى وجهه الغاضب. قالت له: «قلت لك إنني لا أريد الارتباط بأي علاقة جدية».

- لم أسألك عن أي علاقة جدية الآن. أليس كذلك؟

هذا صحيح. قال لها إن ذلك ما كان يريده في الماضي، أما الآن فكل ما يفعله هو محاولة لأن يكون صديقاً وأن يدفعها لتفتح له قلبها وتثق به. قدم لها المساعدة والصداقة. لكن ما يقلقها، إلى أين ستقودهما تلك الصداقة. تقدم خطوة واحدة منها فشعرت كأن جسده سيلامسها. قال: «واجهي الحقيقة تيجان! أنت تدفعينني بعيداً لأنك تشعرين بالتهديد مني. لا بد أن هذا يعني أنك تشعرين بالانجذاب نحوي بطريقة ما».

وقفت تيجان في مكانها هادئة صامتة، وهي تشعر بدقات قلبها تتسارع وتدق بعنف لدرجة جعلتها متأكدة من أنه قادر على سماعها. أخيراً قالت: «ليتنا نستطيع أن نعود أصدقاء من جديد... أتمنى ذلك حقاً. لكن في الماضي، عندما حاولنا أن نكون أصدقاء قمت بالتودد إلي. هل يمكنك أن تعدني أن ذلك لن يحدث ثانية؟».

الابتسامة التي ظهرت على وجهه لم تصل إلى عينيه.

- لو أنني عانقتك قبل خمس دقائق في تلك الخيمة لتركتني أفعل.

لم تجبه تيجان فأدرك أنه أصاب الحقيقة. رفع رأسه ونظر من فوق كتفها إلى المطبخ، قبل أن يخفض صوته ويتابع: «لو لم يكن هؤلاء الأطفال هنا لبرهنت لك ذلك في هذه اللحظة».

تراجعت تيجان خطوة إلى الوراء، وقالت: «أعتقد أنه يجدر بك المغادرة الآن!».

لمعت عيناه الزرقاوان بشدة، وعلق قائلاً: «هل تعتقدين أن ما يحدث سهل علي أيضاً، تيجان؟ آخر أمر توقعته عندما انتقلت للعيش هنا هو أن أراك مجدداً. وأنا مثلك لست مستعداً للتورط في أي علاقة حقيقية قد لا تنجح».

- إذاً بإمكانك أن ترى أن لا جدوى من بقائنا معاً.

- أرأيت؟ هذا هو موضع الخلاف بيننا.

قطبت تيجان جبينها وقد شعرت بالارتباك.

- لأنني شجاع بما فيه الكفاية لأحاول.

أجابته بسرعة خاطفة: «أنا لا أريد أن أحاول مطلقاً».

- بالطبع! أنت خائفة جداً من الفشل. إذا ما فشلت علاقتك بشخص ما فإنك لن تجدي سبباً آخر يستحق الكفاح من أجله في الحياة. لكن إن كنت محظوظة فقد تجدين الأمر رائعاً ولا يمكن وصفه بالكلام.

- هناك احتمال كبير بألا أجد شيئاً، وهذا يثبت أنني على حق.

- لكن ما يخيفك هو ذلك الأمر الرائع. أليس كذلك؟ لأنك إن حصلت عليه...

أصبح صوته أكثر رقة وهو يمد يده الكبيرة إلى وجهها، ويمرر إصبعه على خدها. فجأة ابتعد عنها وأكمل: «عندها ستطلبين منه الرحيل. أليس كذلك تيجان؟ وهذا ما يخيفك».

٦ - لغز وحلّ

- تيجان، أنا ماك. تعرضنا لحادث السيارة.

شعرت تيجان بالأرض تنهار تحت قدميها. لم تقنعها كل التطمينات التي قدمها ماك حول كونهما معاً بخير. لم يبدُ ذلك كافياً. إنها بحاجة لأن تكون هناك وترى بنفسها.

أنهت الاتصال وهي تشعر بالدوار. أخذت تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً. بعد ذلك وعلى الرغم من التوتر الذي ساد بينهما عندما غادر منزلها، أسرعت تيجان بالذهاب إلى براندن من دون أن تتردد للحظة واحدة.

- ماذا هناك بحق الجحيم؟

- أنا بحاجة إلى مساعدتك.

رأها ترتجف، فمدَّ يده وأمسك بذراعيها لتدخل عبر الباب. تابعت تقول: «أنا آسفة».

- لا داعي للاعتذار.

أحنى رأسه قليلاً ليتمكن من النظر إلى وجهها بعينين قلقتين، وتابع قائلاً: «ما الذي حدث؟ هل حدث سوء ما لأحد الأطفال؟».

- لا... هم بخير. إنهم يلعبون مع أطفال آني، على بعد منزلين من هنا.

- إذاً ما الأمر؟

- إنها إيمير... تعرضت إلى حادث سيارة.

اتسعت عينا براندن وهو يسأل: «هل هي بخير؟».

www.elromancia.com

شهقت تيجان، ونظرت من وراء كتفه إلى الحائط الذي يشبه لونه لون القهوة. لم تستطع النظر إلى عينيه، فيما هو يحدثها بهذه النبرة الناعمة ويده على ذراعها يحركها بلطف ليخفف عنها بصمت. ذلك كثير عليها! هي لا تستحق هذه المعاملة اللطيفة بعد الطريقة التي تودعا بها مؤخراً.

تمكنت من هز رأسها وهي تقول: «إنها في المستشفى... في كيلارني».

بعد أن رمشت بعينيها لمرات عدة أخفضت ذقنها ونظرت إلى الأزرار الجميلة في قميصه فيما تابعت: «عليّ الذهاب لرؤيتها».

- بالطبع! يجب أن تذهبي.

- أعلم أنه لا يحق لي أن أسأل، لكنني أتساءل إن كنت تستطيع الاعتناء بالأطفال أثناء رحلتي إلى هناك؟

بقي صامتاً حتى نظرت إلى عينيه، عندئذٍ قال: «لا أعتقد أن هذا هو الحل الأفضل».

شعرت تيجان بالبرودة تجتاحها. أتراه سيستغل هذا الوضع ليرد لها المعاملة بجفاء؟

- أنت لست في وضع مناسب لتقودي تلك المسافة الطويلة بمفردك. سآخذك بنفسي.

آه! يجدر بها أن تضع المزيد من الثقة فيه. أليس كذلك؟ شعرت بقلبها يذوب من شدة اهتمامه. أهذا ما تكون عليه الحال لو أن لديها شخصاً مثله بقربها، شخص يفكر براحتها وحاجاتها؟ لكن، عليها التفكير بثلاثة أطفال هم بحاجة للرعاية أكثر منها.

- لا أعتقد أن الأطفال يستطيعون الذهاب لرؤيتها الآن، فقد يشعرون بالخوف كثيراً.

- هل أخبرتهم بما حدث؟

- لا! تلقيت الاتصال منذ دقائق فقط، وهذا هو المكان الأول الذي فكرت بالذهاب إليه.

ابتسم لها، وتوقفت يده عن ملامسة ذراعها لتخفف عنها: «التحدث مع آني بشأن بقائهم لديها لمدة يومين. هي وجيمس يبدوان زوجين رائعين، كما أن الأطفال سيعتبرون الأمر كالنوم في مكان جديد. سنعود قبل أن يعلموا بأي شيء».

ها قد تسلم زمام الأمور على الفور، مخططاً لما يجب القيام به! إنه على حق، فهي غير قادرة على القيادة إلى كيلارني. إنها على بعد ساعات من هنا كما أن الظلام سيحل قريباً، ولا بد أنها ستصل إلى هناك قرابة منتصف الليل. أدرك الحس العقلاني لديها أن هناك فرصة كبيرة لتصاب بالهلع وهي في طريقها إلى هناك، وهذا يعني بدون أي شك أنها ستعرض نفسها هي أيضاً للخطر. لكن جزءاً منها يعلم أن ابتعادها عن الأطفال سيجعلها المرأة الثانية المهمة في حياتهم التي تتركهم بمفردهم في وقت قصير جداً، وهذا غير مناسب مطلقاً.

- لا أعتقد أنني أستطيع تركهم مع أشخاص هم بالكاد يعرفونهم.

- لعبوا مع أطفال آني كثيراً في الأيام القليلة الماضية. سيكونون بخير. كما أن الأطفال يحبون النوم خارج منازلهم.

كيف علم أنهم يذهبون إلى هناك ليلعبوا؟ أتراه يتجسس عليها؟

ما تفكر به بدا واضحاً في عينيها، فهز رأسه وقال: «على أحدهم التأكد من أنك لن تتركي طفلاً بمفرده ثانية».

فتحت فمها لتتكلم، لكنه تابع بسرعة: «سأذهب للتحدث إلى آني، أما أنت فاذهبي لتحضري حقيبتك. سآتي لاصطحابك بعد نصف ساعة. كلما أسرعنا بالذهاب كلما كانت عودتنا أسرع».

* * *

أمضت تيجان أكثر من نصف ساعة وهي تحدث جلبة لا جدوى منها، كي تتأكد أن الأطفال لديهم كل ما قد يحتاجونه، إن هطل المطر، أو تساقطت الثلوج أو تعرضت المنطقة إلى موجة من الجليد أو هبت عاصفة مدمرة، أما الأطفال فبالكاد ابتعدوا عن ألعابهم ليقولوا لها

وداعاً. ميغان هي الوحيدة التي تعلقت بعنقها وضغطت بذراعيها عليها بقبضة كالملزمة.

تنشقت تيجان عطر الطفلة الناعم وأخذت تهدهدها بين ذراعيها وقد ظهرت الدموع في عينيها.

- سأعود في أقرب وقت ممكن ميغي. أعدك بذلك.

شعرت بيد ثابتة ودافئة على ظهرها، ثم سمعت صوت براندن العميق يهمس في أذنها: «علينا الذهاب، عزيزتي. دعيني أحملها للحظة».

أرخت ميغان ذراعيها عن عنق تيجان ما إن نظر براندن إلى وجهها وهو يقول لها: «تعالي يا ملاكي لنلعب قليلاً. أنت تريدين الوثب في الهواء. أليس كذلك؟».

مسحت تيجان دموعها بسرعة، وراقبته وهو يلاعب الفتاة بقوة أكثر مما فعل في ذلك النهار في حديقة الحيوانات. استمر في ملاعبتها حتى رفعها زوج آني من بين ذراعيه وأخذ يكرر عملية الوثب في الهواء. بالكاد لاحظت ميغان ما حدث. هذا تصرف ذكي من قبله، ومليء بالاحساس والاهتمام بمصلحة الطفلة. شعرت تيجان بغصة في حلقها كادت تخنقها.

ما إن استدار براندن نحوها حتى ابتسمت من دون أن تفكر بأي شيء إلا أنه يدفعها للابتسام ببساطة بسبب الأشياء التي يقوم بها. كما أنه يجعلها تبتسم أكثر عندما تراه برفقة الأطفال، لا سيما ميغان. لا بد أنه سيكون والداً رائعاً في يوم ما. أمسك مرفقها بيده وهو يقول: «لنتطلق».

هزت تيجان برأسها لدى سماع صوته اللطيف، واستدارت لتحدث آني.

- لا يمكنني أن أشكرك بما فيه الكـ...

- إذاً لا تفعلي. فقط اذهبي، وتأكدي أن أختك بحالة جيدة. سيكون الأطفال بخير هنا.

بقي براندن يفكر ملياً بالنظرة التي رآها على وجه تيجان ما إن ضمتها آني إليها، حتى بعد أن غادرا دوبلن بوقت طويل. نظر إليها وهي تجلس

مستقيمة الظهر على المقعد بجانبه، وقال: «آني تحبك كثيراً».

- إنها جارة رائعة، وهي صديقة لي منذ أن انتقلت للعيش قربها. كما أنها أصبحت أكثر اهتماماً بي منذ أن عادت من عطلتها مع زوجها وأطفالها.

لو كانوا هنا منذ أسبوع مضى لما طلبت أي مساعدة من براندن!

- لكنكما لستما مقربتين من بعضكما. أليس كذلك؟

لا، فهما لم تتعانقا مرة من قبل، والمبادرة اللطيفة التي أظهرتها آني اليوم أثارت عاطفتها. قالت: «لا أعتقد أن لدي أصدقاء مقربين بعيداً عن عملي هذه الأيام».

أتراها تخاف من السماح للآخرين بالتدخل في حياتها؟ نظر إليها بنعومة، وقال: «إذاً لست أنا الوحيد الذي تبقينه بعيداً عنك».

فكرت بما قاله، وأجابت بعد قليل: «أجل. أعتقد ذلك».

ركز براندن على قيادة سيارته فيما ساوره شعور بالارتياح لسماع تلك الحقائق منها الآن. سألها بصوت أشد رقة: «حدثيني عن إيمير».

ما إن ذكر اسم أختها حتى جلست تيجان باستقامة أكثر في مقعدها وقالت: «ماذا تريد أن تعرف؟».

لاحظ حركتها تلك من خلال المرآة العريضة أمامه، فقال: «أي شيء ترين أنك تستطيعين التحدث عنه بدون أن نبدأ بشجار جديد، فهذه الرحلة طويلة ولا نستطيع قطعها بدون أن نتحدث».

هزت رأسها، ثم ظهرت ابتسامة على وجهها ورق صوتها وهي تقول: «إنها جميلة جداً. لكن رأيي بها ليس محايداً إذ اعتبرت نفسي كأم لها طوال حياتها».

- إنها أصغر سناً منك. ما زلت أتذكر ذلك.

أدار بحركة من إصبعه ممسحة الزجاج الأمامي، ثم نظر إليها لفترة كافية قبل أن يسألها: «كم هو فارق السن بينكما؟».

- أربع سنوات. أنجبها والداي في محاولة ثانية منهما لإنقاذ

زواجهما.

فكر براندن قليلاً وأدرك أنها كانت في الثانية عشرة من عمرها عندما توفيت والدتهما. لا بد أن ذلك أمر صعب جداً على كلتيهما. قال: «لا بد أنها كانت صغيرة جداً عندما تزوجت».

في الواقع، هذا هو سبب خلافهما الحقيقي الأول. شعرت تيجان بالدموع تملأ عينيها من جديد ما إن تذكرت هذا الآن فيما أختها ملقاة على سرير في مستشفى.

- التقيا وهي في السابعة عشرة من عمرها، وتزوجا عندما أصبحت في الثامنة عشرة.

حتى إنها كانت أصغر من تيجان عندما واجهت عاطفتها نحو براندن. وفي حين قامت تيجان بالهرب بعيداً عن براندن، توجهت إيمير مباشرة إلى ذراعي الرجل الذي أحبته فتزوجت به قبل أن تحظى بالوقت الكافي لتعرفه على حقيقته. تلك هي الغلطة نفسها التي أقدم عليها والداها، وعملت هي على تكرارها.

- أنجبت طفلين منه، ثم تطلقا منذ ثلاث سنوات. ماك هو زوجها الثاني.

ساد الصمت بينهما لفترة عبرا فيها أميالاً عدة. قال براندن فجأة: «أتراني حقاً عرفتك يوماً؟».

النبرة الناعمة في سؤاله كادت تمزقها. أدارت تيجان وجهها نحو النافذة بسرعة، وأخذت تراقب بعينين مليئتين بالدموع المناظر التي تمر بها والمطر الذي ينهمر بسرعة. قالت: «من المحتمل أنني لم اسمح لك بأن تقترب مني بما يكفي».

- أو أنني لم أطرح الأسئلة المناسبة.

- ربما!

نظر إلى انعكاس صورتها وقال مخففاً عنها: «ستكون بألف خير، وسترين ذلك بنفسك. لا بد أن صهرك أخبرك الحقيقة. لو أنها في خطر

لأخبرك بالتأكيد».

ابتسمت تيجان له ابتسامة صغيرة ظهرت في المرآة وقالت: «أعلم ذلك، لكنني أريد أن أراها بنفسي. عندها سأصبح أنا أيضاً بخير».

عندما ساد الصمت من جديد وجدت تيجان نفسها تستجمع ثقتها بنفسها من قوة صمته. مجرد وجوده بقربها جعلها تشعر بأن كل شيء سيسير على ما يرام، وهذا أمر جديد عليها. أثار ذلك فضولها حول هذا الشخص القادر على إعطائها هذه الطاقة مع أنهما على شجار دائم.

تمسكت برباطة جأشها فاستدارت ونظرت إليه ملياً. ترددت للحظة واحدة قبل أن تقول: «ما كان عليك القيام بهذا كله».

- بلى، بالطبع! فأنا فارسك النبيل. ألا تذكرين؟

ابتسم لها وظهرت التماعة في عينيه، مع أنه استمر في التحديق إلى الأمام.

لم تستطع تيجان إلا أن تسأل: «كيف سمحت لك بالرحيل؟أعني... زوجتك؟».

تلاشت ابتسامته بسبب سؤالها البسيط. ضغط بأصابعه على المقود بشدة، وأجاب: «هل ستستعملين حقيقة فشل زواجي كبرهان لتأكيد نظريتك؟».

- ماذا؟

لم ينظر إليها وهو يجيب: «أخبرتني عن والديك وعن زواج إيمير الأول لكي تبرهني نظريتك في العيش وحيدة طيلة حياتك، فلن أضيف أدلة جديدة لتعزيز هذه النظرية، تيجان».

فجأة تبدل الجو بينهما، فأسرعت تقول: «اعتقدت أنك لا تريدنا أن نتشاجر».

- بالطبع، لا أريد.

- إذاً، لا بأس إن طرحت عليَّ أي نوع من الاسئلة، فيما لا يحق لي أن أعاملك بالمثل؟

تنهد براندن، وكرر عملية إرخاء أصابعه وشدها على المقود، قبل أن يقول: «لا علاقة مطلقاً لزواجي بما يجري بينك وبيني».

- ليس هناك ما يجري بيننا: أنت وأنا.

نظر مباشرة إلى عينيها في لحظة قصيرة مليئة بالانفعال، وقال: «بلى، تيجان. هناك علاقة بيننا، سواء قبلت بذلك أم لا».

- ألأنني أتيت طالبة المساعدة منك من جديد؟

- بل لأنني الشخص الأول الذي فكرت فيه...

توقف لبرهة قبل متابعة كلامه، كأنه يريد إعطاءها فرصة لاستيعاب ما يجري حقاً بينهما ثم أردف: «.. وهذا يعني أمراً واحداً، هو أنني ما زلت أهتم بك».

سألته باستغراب: «كيف يمكنك قول ذلك. أنا لم أشجعك أبداً».

- لا، ليس كما يحدث عادة في أي علاقة عادية.

ابتسم بمكر وأكمل: «هناك أمر قلته، وأعتقد أنك على حق. أنا فعلاً أراك كتحدٍ لي، ولا أعتقد أنك تريدين تمضية حياتك كلها بمفردك. صدقيني، تيجان».

اتسعت عيناها من الدهشة وهو يستدير وينظر إلى عينيها مباشرة ويضيف: «وأنا أيضاً».

٧ - مصارحة

عندما وصلا التقيا بماك أولاً. وبينما كانا يسيران برفقته عبرالممر نحو غرفة إيمير شعرت تيجان باضطراب في معدتها بسبب رؤية الجروح الواضحة على وجهه. لكن الاضطراب تضاعف ما إن فتح الباب وشاهدت بعينيها وجه أختها المبتسم.

كما توقع براندن، بدت إيمير بخير على الرغم من وجود كسرين في ضلوعها وعدد من الجروح الواضحة. بعد التحدث لبعض الوقت عن كيفية حصول الحادث، استعادت تيجان هدوءها، لاسيما بعد أن تأكدت أن أختها الصغرى بخير. لكن ما إن ذكرت إيمير كم تفتقد أطفالها عاود تيجان الاضطراب والغضب معاً.

- لا أستطيع أن أصدق أنك بمنتهى الأنانية.

اتسعت عينا إيمير اللتان يشبه لونهما لون عيني تيجان من الدهشة، وسألتها: «كيف يمكنك أن تقولي ذلك؟».

- إيمير، مضت عدة أيام على غيابك، وأنت لم تتصلي بأطفالك.

هزت إيمير رأسها غير مصدقة: «نجوت للتو من حادث مميت! فلماذا تقولين لي ذلك؟».

ربما لأنها عانت الأمرين من تلك الرحلة، لتجد أختها جالسة في سريرها كأنها نجمة سينمائية، وهذا لم يساعدها. فالاحساس الكبير بالأمان تحول إلى ضيق وانزعاج.

- مرت عدة أيام قبل الحادث حيث كنت قادرة على الاتصال بهم، لكنك لم تفكري بالقيام بذلك. لو كنت مكانك لكان هذا أول اتصال

www.elromancia.com

أقوم به.

- بالطبع! أنت تقومين بكل شيء على أتم وجه.

سالت الدموع على وجهها وهي تتابع: «أعلم أن الأطفال بألف خير معك، وأنت تعرفين كم أحبهم».

أخذت تيجان تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً عند طرف السرير. الشجار مع أختها لم يكن أول شيء أرادت القيام به عندما تراها، لكن ما إن تأكدت من سلامتها حتى لم تعد قادرة على تمالك نفسها.

- لا يمكنك أن تبقيهم دائماً في الدرجة الثانية من اهتمامك.

- أنا لا أضعهم مطلقاً في الدرجة الثانية.

- بلى، هذا ما تفعلينه.

توقفت عن السير، وأمسكت بقبضة محكمة بحاجز السرير المعدني. حدقت بأختها وتابعت: «عندما يتعلق الأمر بالرجال، هذا ما تفعلينه. وهذا عمل خاطئ. كيف يمكنك ألّا تعرفي ذلك؟».

- لا أستطيع خسارة زوج آخر، تيجان. أنا فعلاً لا أستطيع.

تابعت إيمير كأنها تتوسل: «يجب أن أعمل على إنجاح زواجي كي لا ينتهي كزواج أمي وأبي. أنت من بين كل الناس يجب أن تفهمي ذلك».

شعرت تيجان كأنها تلقت صفعة على وجهها.

- لا تفعلي ذلك. أصبحنا ناضجتين بما فيه الكفاية لنتحمل مسؤولية حياتنا الخاصة الآن.

أجابت إيمير بصوت مليء بالسخرية: «هل نحن كذلك؟ أهذا السبب وصلتِ إلى هنا برفقة شاب وسيم جداً ليساعدك؟».

اصطبغ وجه تيجان بلون أحمر داكن، وقالت: «اتركيه بعيداً عن نقاشنا. إنه شخص لطيف ساعدني في الاهتمام بأطفالك في هذه الفترة الأخيرة. ما كنت لأستطيع تدبر الأمر بدونه».

- أنت دائماً قادرة على تدبر كل الأمور.

- لا! هذا غير صحيح، إيمير!

بدت إيمير كالمصدومة من هذا الشجار الغاضب. قالت: «بلى، أنت قادرة على كل شيء. هذا ما كنت تفعلينه دائماً».

- لا، ليس دائماً.

تنفست تيجان وقد ظهر عليها الارهاق. هزت رأسها وأبعدت نظرها عن وجه إيمير، ثم أجالت بصرها في الغرفة الأنيقة المتناهية النظافة وقالت: «كما أنني متعبة من جراء ذلك... متعبة جداً».

لم تجبها إيمير بأي كلام، فتابعت قائلة: «كنت خائفة جداً رغم اتصال ماك. رغبت في القدوم إلى هنا بنفسي لأتأكد أنك بخير».

- أنا بخير. لكن الأضلاع المحطمة ليست بالأمر السهل.

- لكنها ليست بعذر كاف كي لا تتصلي. من المهم أن تفكري بسواك وبما سيشعر به الآخرون عندما تنقطع أخبارك.

- أعلم أنك شعرت بالقلق.

- إذاً كان عليك الاتصال.

عاودها الاحساس بالاحباط والغضب فأكملت: «ماذا عن الوقت الذي مر قبل الحادث؟ ماذا عن الأيام التي لم تفكري بالاتصال بأطفالك لمرة واحدة؟».

- كنا في وسط مكان مجهول لنا. وكنا بحاجة إلى تمضية بعض الوقت بمفردنا.

- هذا ليس مبرراً كافياً إيمير. أنت لا تستحقين هؤلاء الأطفال الرائعين. خذي بعض الوقت لتفكري بأمرهم. فكري كيف جرت الأمور معنا عندما كنا في مثل أعمارهم!

من دون أن تنتظر إجابة من أختها استدارت وجذبت الباب بعنف لتفتحه، ثم ركضت بسرعة عبر القاعة إذ شعرت أنها بحاجة إلى هواء غير ملوث برائحة المستشفى الكريهة التي لا تزال تتذكرها منذ أن كانت أمها مريضة جداً. أعادت إليها الذكرى صورة وجه امرأة دفنتها في عقلها الباطني منذ زمن بعيد. امرأة جميلة تماماً كإيمير. امرأة لم تسمع مطلقاً كل

الاحباط الذي تشعر به دائماً والذي سمعته إيمير للتو. فجأة شعرت تيجان أنها بحاجة إلى التخلص من هذا الاحساس القوي بالوحدة الذي تعيشه دائماً. براندن على حق كما هو دائماً، فهي وحيدة جداً.

بعد أن تحدثت عن الأمر في العلن اجتاحتها المشاعر القوية فلم تتمكن من المواجهة. الصدمة التي عانتها بسبب عدم قدرتها على السيطرة على عواطفها، جعلتها غاضبة كالإعصار. وجدها براندن خارج المبنى تسير بعصبية واضحة على العشب الرطب. سألها: «لماذا اختفيت فجأة؟».

- شعرت أنني بحاجة إلى الهواء.

- تبدو إيمير بخير.

بالكاد رأى براندن أخته من مدخل الباب، ثم ذهب لتناول فنجان من الشاي مع ماك الذي بدا رجلاً لطيفاً.

أطلقت تيجان ضحكة ساخرة وبصوت عالٍ جداً قبل أن تقول: «آه! صحيح. إنها أكثر من رائعة».

قطب براندن جبينه ما إن تابعت السير بعصبية. سألها: «ما الذي حدث؟».

- لقد تشاجرنا. يبدو أن هذا كل ما أستطيع القيام به هذه الأيام.

تقدم نحوها ومدّ يده ليتمكن من إيقافها عن متابعة السير، فأبعدت ذراعها عن متناول يده، ثم استدارت على عقبيها لتواجهه.

- لا. لا تحاول! لا مجال لأن تفهم ما الذي أشعر به الآن.

- بالطبع، لن أفهم إن لم تخبريني.

- لماذا عليّ أن أخبرك؟

تنهد بقوة وقال: «لأنك بحاجة إلى التحدث عن الأمر. هذا هو السبب. لا يمكنك أن تحتفظي بكل هذا الحزن والغضب بداخلك».

- تمكنت من تدبير أمري طيلة هذا الوقت.

عاودها الغضب مع أنها تعلم أن ما يقوله هو الحقيقة بعينها. تابعت: «لم أعد قادرة على التصرف بطريقة صحيحة الآن، وذلك كله بسببك».

نجحت فعلاً في إغضابه. لمعت عيناه بشدة وسألها: «لماذا تقولين ذلك، بحق السماء؟».

- لأنك تضغط عليّ باستمرار. كنت بألف خير في السابق.

ذاب الغضب من عينيه وقد تفهم ما يحدث معها. مدّ يده إلى ذراعها من جديد، وقال بصوت لطيف: «لا، لم تكوني كذلك».

- بلى، كنت كذلك. كنت أسيطر على حياتي، ولم أكن بحاجة إلى مساعدة من أي كان.

ضعف صوتها وهي تتجنب لمسته مرة أخرى. حركت ذراعها لتلصقها بجنبها وهي تتابع: «لم أشعر يوماً أنني بحاجة إلى الاعتماد على أحدهم».

أسقط ذراعه إلى الأسفل مسلماً أنه لا يستطيع الاقتراب منها الآن. وقف أمامها منتظراً أن تخرج من أعماقها كل ما يزعجها. انهمرت الدموع من عيني تيجان، فالسنوات الطويلة تستحق البكاء.

- جعلتني أقف متأملة حياتي كلها، وأول ما قمت به عندما رأيت شقيقتي في المستشفى هو محاولة الامساك بحلقها لأخنقها.

- لماذا فعلت ذلك؟

- لأنها لم تفكر بالاتصال بهؤلاء الأطفال الرائعين الذين هم من ضمن مسؤوليتها! حتى إنها لا تقدر قيمتهم، وهذا يقتلني.

ساد الصمت بينهما. بعد ذلك طرف براندن بعينيه وهو يقول: «الأمر يقتلك لأنك تعلمين تماماً أن الأطفال هبة ونعمة، وأنك تخليت عن أي فرصة للحصول على نعمة مماثلة لكي تبقي بمفردك. في حين أن ليس هذا ما تريدينه حقاً».

سقطت الكلمات عليها كالصاعقة، فهبطت كتفاها. تسمرت في مكانها وهي تحدق به. بدا لها أن غضبها تبخر فجأة وأن عينيها الواسعتين تهدآن. قالت: «تخليت عن الأمر لأنني لا أستطيع التعامل معه بنجاح كما هو واضح».

ضحكت من جديد ضحكة خشنة كأنها تسخر من نفسها، وتابعت:

www.elromancia.com

«حتى إنني لا أستطيع التعامل مع الشقيقة الوحيدة التي أمضيت نصف حياتي وأنا أهتم بها. ما كان علي أن أفجر غضبي في وجهها كما فعلت».

مع انخفاض صوتها، تشجع براندن وتقدم خطوة إلى الأمام، ثم جذبها ببطء نحوه. قال بصوت ناعم: «تيجان، أنت خائفة من فقدان الشخص الوحيد المتبقي لك من عائلتك، وذلك دفعك للتفوه بالكثير من الأشياء التي كنت تخزنينها في داخلك. هذا كل شيء».

توقفت على بعد ذراع منه، وقاومت بشدة قبضة يده القوية الثابتة. قالت بصوت مرتفع: «لم أصرخ بها في السابق مطلقاً».

بقي ممسكاً بها وعلق: «حسناً! لا بد أن يأتي وقت تخبرينها فيه أنه يجدر بها أن تكون مسؤولة عن أفعالها الخاصة، وتخبرينها بالتحديد ما هو شعورك نحو تلك الأفعال».

قاومته تيجان بشدة أكثر وعلقت: «أنت هو السبب... وكل هذا التحليل النفسي اللعين! لماذا لم تترك الأمور على حالها؟».

- لا أتحمل أن أراك منغلقة على نفسك. إنه أمر غريب وغير عادل، لأن لديك الكثير من العاطفة لتقدميها إلى الآخرين إن وثقت بنفسك وسمحت لأحدهم بالدخول إلى عالمك».

استمر في الامساك بذراعيها وهو يتابع: «تابعي الآن وفوراً. تخلصي من كل ما يزعجك، تخلي عن كل ما يغضبك، ودعيني أتقرب منك».

- لا أستطيع... لن أفعل ذلك... دعني وشأني.

استمرت في مقاومته وهي تتحرك من جانب إلى آخر بين يديه حتى تعبت ولم تستطع الابتعاد. عندها رفعت قبضتيها الصغيرتين، وأخذت تضرب بهما على صدره الواسع.

- لا!

بدأت بالتنهد عندما توقفت عن ضرب صدره، وقالت: «لم أكن أشعر بالوحدة من قبل».

- بلى، كنت كذلك. ابتعدت عن الأشخاص الذين يمكنهم أن يهتموا

بك وليس عني فقط.

واختنق صوتها وهي تقول: «لا أريد أن أحتاج لأي شخص».

ما إن توقفت عن ضرب صدره حتى رفع يده إلى رأسها. مرر راحة يده فوق شعرها مخففاً عنها وهو يشدها إليه أكثر.

- يحتاج كل منا إلى شخص ما بقربه، تيجان. ولو لم أكن أنا لكان هناك شخص آخر.

ما إن أصبح رأسها متكئاً على صدره، حتى أخذت نفساً عميقاً وقالت: «لم يضغط عليّ أحد بقوة كما فعلت أنت».

ضمها إليه بصمت، ممرراً يده على شعرها حتى هدأت أنفاسها. عندها تنهد قائلاً: «أتذكر تيجان مختلفة تماماً. فتاة منفتحة على الآخرين، تضحك أكثر وتتشارك مع الغير. أحب كثيراً أن أراها مجدداً».

بعد عدة دقائق رفعت تيجان رأسها، مالت به إلى الوراء ثم نظرت مباشرة إلى وجهه. إنها تعرف هذا الوجه جيداً، وهو يذكرها بأيام ضحكا فيها كثيراً معاً وتحدثا عن الكثير من الأمور. لكن مضت حياة بأكملها منذ ذلك الوقت. كل ما فعلته منذ ذلك الحين هو أن تعلم نفسها كيف تنغلق عاطفياً عن كل الناس، حتى إن ضحكها أصبح نادراً مع مرور السنين. إلا أنها لا تريد العيش وحيدة بعد الآن. رفعت يديها ولفتهما حول رقبته تاركة أصابعها تلامس بحنان شعره.

وقف براندن بدون حراك وقال: «لن أعانقك، فهذا آخر أمر معقد أنت بحاجة إليه في هذا الوقت».

بل هذا آخر شيء توقعت أن تسمعه منه. يا إلهي! هل فهمت كل ما يجري بطريقة خاطئة؟ أتراها أصبحت تعيش في فوضى كاملة بعد أن كانت تملك سيطرة كاملة على عالمها؟

- هذا لا يعني أنني لا أرغب بذلك...

رفع براندن يده عن شعرها، وأمسك يدها الصغيرة الممسكة بعنقه بلطف، ثم قال: «... لكنني لن أفعل ذلك هنا والآن. لا أريد أن

تتهمينني بالاستفادة من وضع مليء بالتوتر العاطفي».

لم تستطع تيجان أن تنظر في عينيه على الرغم من ابتسامته المشجعة لها. شعرت بإحساس من المهانة لم تشعر به يوماً في حياتها كلها. قالت: «انسَ الأمر كله».

سمح لها أن تبتعد عنه، إلا أنه أمسك بها للحظة كافية ليقول لها بهدوء: «عليك أن تعلمي أن هذا الأمر سيحدث بدون أي شك، لكن ليس الآن».

* * *

- قضي الأمر. أحدهم ألغى حجزه، فتوفرت لديهم غرفة. هذا يعني أننا نستطيع أخذ قسط من الراحة.

ابتسم لها، فلمعت أسنانه البيضاء رغم الضوء الخافت في القاعة. رفعت رأسها وبادلته ابتسامته بابتسامة بسيطة وحقيقية، ثم استوعبت تماماً ما قاله فعلقت: «غرفة واحدة؟!».

- إنها غرفة بسريرين، فلا داعي للرعب. آمل أن تكون ثياب نومك محتشمة.

شعرت تيجان باضطراب في معدتها من فكرة مشاركته في غرفة واحدة، حتى لو كانت تضم سريرين، فهناك شيء من الحميمية في الأمر. لم يفته ترددها وحيرتها، فعلق: «لن نجد أي مكان آخر في هذا الوقت من الليل وفي هذا الموسم».

- أعلم ذلك.

بعد مرور لحظات نظر براندن إلى الأرض المفروشة بالحصى عند قدميه وبدا مستغرقاً في التفكير. رفع رأسه بعد قليل ونظر إليها ليسمرها في مكانها من خلال عينيه الغامضتين اللتين لا يسبر غورهما، ثم تقدم نحوها. أبعدت تيجان جسدها عن السيارة كأنها تحاول بذلك أن تفهمه أنها لا تشجع اقترابه منها، أو ربما... هي تتحداه لكي يحاول التقرب منها. ابتسمت بخجل له، وعندما أصبح على بعد خطوة منها نظر إلى

عينيها وضحك ضحكة ناعمة. بدا لها أن هذه الضحكة انطلقت من صدره العريض قبل أن تصل إلى مسمعها.

- لا تحاولي النظر إلي هكذا، تيجان ديلاني.

استمر في الابتسام، فسألته: «ماذا تعني؟».

- آه! أنت تعلمين ما الذي تفعلينه. أنت تغازلينني.

مالت برأسها إلى جهة واحدة، ثم رمشت بعينيها وقالت: «لا فكرة لدي عما تتحدث. أنا سعيدة فقط لأنك وجدت غرفة».

ضحك مرة ثانية، ثم هز إصبعه باتجاهها وقال: «ها أنت تفعلين ذلك من جديد. توقفي عن ذلك».

بانحناءة بسيطة إلى الأمام، أغلقت الفسحة القصيرة بين جسديهما. قالت وهي لا تزال ترفع رأسها إليه: «أعتقد أنني أشعر بالتحرر».

ظهرت على وجهه ابتسامة مليئة بالعاطفة، ثم مدّ يده بنعومة وأبعد شعرها إلى ما وراء أذنها تاركاً أصابعه تتريث هناك. قال: «أخرجت الكثير من معاناتك إلى العلن، وهذا أمر مهم جداً».

- أجل، إنه كذلك.

نظرت إليه تيجان بعينين رقيقتين، وتابعت: «أنا آسفة لأنني ضربتك مراراً».

- يحتاج الأمر لأكثر من فتاة صغيرة الحجم مثلك لتتمكن من ضربي.

استمرت تيجان في الابتسام، قبل أن تشعر بموجة من الخجل تسيطر عليها من جديد. وقفت باستقامة على قدميها وهي تميل إلى الوراء، ونظرت إلى الزر المفضل لديها في قميصه. إنه الزر الموجود عند قاعدة عنقه القوي، حيث يظهر بوضوح نبضه وهو يدق بقوة وثبات.

- هل أنت بخير؟

- الأمر غريب قليلاً، على ما أعتقد.

- الغرابة هي بقاؤك بمفردك طيلة هذه الفترة من دون أن يحدث شيء مماثل من قبل.

www.elromancia.com

- أخبرتك أن أحداً لم يحاول الضغط علي بهذه القوة من قبل.

قطبت جبينها قليلاً، ثم رفعت يدها وراحت تعبث بالزر فتحركه بين إبهامها والسبابة. قال براندن هامساً بصوت أجش: «لم أقصد هذا النوع من الأمور. بل هذا النوع من الصداقة الحميمة».

رفعت بصرها ببطء إليه وقالت: «لم أشعر بمثل هذا الاحساس من قبل».

احتاج براندن للحظات ليتمكن من فهم ما قصدته، وعندما فعل توقفت أصابعه عن التحرك على شعرها، ثم ارتفع صدره وهبط في تنهيدة عميقة.

- هناك الكثير من المسائل التي يجدر بك معالجتها في الوقت الراهن.

- لكن ليس هذا هو سبب تراجعك. أليس كذلك؟

كلا، حاول براندن استجماع كل قدرة يملكها للسيطرة على ذاته. فهو يشعر أن هناك معركة دائمة في أعماقه عندما يكون قربها. هو لا يريد أن يكون تقربها منه ردة فعل مباشرة لإخفاقها في حياتها العاطفية، بل يريد شيئاً يدوم أكثر من ذلك. بطريقة ما يراوده شعور بأن خسارتها الآن ستسبب له ألماً أكبر من الألم الذي واجهه عندما فشل زواجه. الأمر يحتاج إلى مزيد من الوقت، هذا كل شيء. قال لها: «لا فكرة لديك كم يصعب عليّ ألا أعانقك الآن».

الابتسامة التي لمعت على وجهها كادت تذيب أوصاله.

- تيجان، توقفي عن ذلك!

جمدت يدها التي تمسك بزر قميصه، وما لبثت أن ارتفعت لتلمس جانب وجهه.

أحاط بيده يدها ليمسك بها على خده. للحظة أغمض عينيه، ليتمكن من الاحساس بقوة لمستها، ثم قال: «أعتقد أنه يجدر بنا أن نعرف بعضنا بصورة أفضل هذه المرة».

بقيت الابتسامة على وجهها وهي تقول: «آه! هذا ما أفكر به أيضاً».

دفعه كلامها للضحك من جديد، فقال: «ليس هذا ماقصدته».

مرر أصابعه بين أصابعها على خده، ثم رفع يدها عن وجهه مبقياً على تشابك أصابعهما وهو يتابع: «يمكننا القيام بذلك إذا عملنا على السير ببطء وهدوء».

رفعت حاجبها متسائلة، أضاف بصوت عميق: «هناك طرق أخرى لإقامة علاقة حميمة».

- أحقاً؟

تفاجأت تيجان من نبرة صوتها الهامسة المبحوحة. هز براندن رأسه ببطء وتعمد، فشعرت بجفاف في فمها. قالت: «مثل ماذا؟».

شبك أصابعه بأصابعها جيداً، وقال: «عليكِ أن تثقي بي».

أهذا كل شيء؟ إنها تثق به. أليس كذلك؟ بفضله تمكنت من التخلص من انقباض عاطفي سببته لها ذكرياتها القديمة مع عائلتها، كما أنها تجاوزت عدم قدرتها على الثقة بشخص يهتم لأمرها. أن تثق به للاهتمام بالاطفال وأن تتقبل مساعدته ثم تذهب إليه أولاً عندما تتعرض لأزمة ما... تلك الأشياء كلها تشير إلى أنها تثق به منذ البداية.

- أنا حقاً أثق بك، براندن.

توقف إبهامه عن الحركة. رمش بجفونه للحظات وقد ظهرت مشاعره الصادقة في عينيه. مال إلى الأمام وضغط فمه الدافئ على صدغها البارد، ثم تنشق بعمق عطر شعرها. بعدئذٍ نظر من أعماق عينيه إلى عينيها، من خلال هذه المسافة القصيرة. ابتسمت تيجان، وبدا لها أنها لا تستطيع التوقف عن الابتسام. تلك اللحظات هي أكثر اللحظات المليئة بالمشاعر التي عاشتها مع رجل وذلك فقط من خلال لمسة على جبهتها. إلى أين ستأخذها هذه الرحلة الرائعة بعد؟

أول مكان أخذتها إليه بدا لها أمراً محرجاً للغاية، إذ عليها مشاركته النوم في غرفة واحدة بعد كل ما حدث. لو أن الأمر بيدها لاختارت أن تمضي بضع ساعات بعيدة عنه لتستوعب ما جرى وتفكر بما يحدث معها.

www.elromancia.com

من جهة أخرى، لربما كان أمراً جيداً أن تتشارك معه هذه الغرفة، لأنها بهذه الطريقة لا تستطيع الهرب من جديد. مع أنها قالت له إنها تريد أن ترى ما الذي سيجري بعد ذلك، لكن لا شيء يمنعها من العودة إلى التفكير بالهروب إذا أمضت بعض الوقت بعيداً عنه.

اجتاحتها موجة من المشاعر المتضاربة وهي تقف في غرفة الحمام الصغيرة في الفندق. انتهت من تنظيف أسنانها، ومررت يديها فوق بيجامتها المخططة، ثم تنفست بعمق.

- هل سقطت في حفرة ما؟

ظهرت ابتسامة على وجهها ما إن سمعت صوته من الجهة الأخرى من الباب.

- أعدك أنني لن أنظر خلسة إليك إن كنت ترتدين ثياباً غير محتشمة.

- كاذب!

وضحكت بنعومة.

- فقط لمجرد الفضول. هل تفعلين؟

ضحكت بصوت عال، وتردد صدى صوتها عبر الجدار وهي تقول: «يمكنني أن أنام هنا».

سمعت صوت تكتكة قريب من الباب، بعد ذلك سمعت صوت براندن كدمدمة بعيدة: «أطفأت النور. تعالي إلى السرير».

آه! من الذي يغازل الآخر الآن؟ بعد لحظات شعرت بالهدوء في أعماقها، ففتحت الباب واعتمدت على الضوء المنبعث من غرفة الحمام لتتمكن من معرفة اتجاهها. استطاعت رؤية براندن مستلقياً على السرير الضيق البعيد عنها، لكنها لم تستطع أن تتبين على أي جهة ينام وإن كان مطبق العينين أم أنه ينظر إليها، حتى سمعت صوته عميقاً ودافئاً في ذلك المكان المظلم.

- أتعلمين؟ إطفاء النور في الغرفة لم ينجح بسبب الضوء القادم من وراءك. بإمكاني رؤية الكثير من خلال ذلك الضوء.

اتسعت عينا تيجان، فارتمت بسرعة على السرير الأقرب. وسمعته يضحك ضحكة خافتة.

استلقت تحت الأغطية فأصبحت الغرفة هادئة تماماً. حبست أنفاسها وهي تحاول أن تصغي. لم تستطع أن تسمعه يتنفس. بعد ذلك انفجرا ضاحكين عندما زفرا نفسيهما معاً. همست وهي تستدير لمواجهته: «حسناً! ما يحدث هنا لا يثير أي قلق أبداً».

سمع صرير سريره وهو يتحرك. قال: «مررنا بيوم مليء بالاحداث».

- أجل. إنه كذلك.

- علينا أن نفعل شيئاً لنستمتع بوقتنا غداً، علنا نعوض ما مر بنا اليوم. ألا تعتقدين ذلك؟

دفعها المنطق الذي يتحدث به إلى الابتسام، فقالت: «ليس هناك حديقة حيوانات في كيلارني».

- تباً!

- علينا أن نفكر بشيء آخر، على ما أعتقد.

- يا إلهي! الآنسة ديلاني تخطط للحصول على شيء من التسلية؟ يا له من أمر مؤثر!

حدة النبرة في صوته المنخفض رسمت صورة في مخيلتها للابتسامة على وجهه، وما إن أغمضت عينيها حتى كادت تراها؛ الالتماعة في عينيه الزرقاوين، والخطوط المحيطة بهما من كل جانب. إن وجهه مرسوم في عقلها بشكل يتعذر محوه.

- هل أنت نائمة؟

استمرت في الابتسام وهي تجيب: «لا!».

- إذاً أخبريني شيئاً لا أعرفه.

- حصلت على معلومات عني في الأيام القليلة الأخيرة أكثر من جميع الذي أعرفهم.

قال بصوت يحمل في طياته الحنان والرقة: «أعلم. لذلك دعينا

www.elromancia.com

نتحدث عن أمور بسيطة. شيء لا يعلمه أحد غيرك».

المشاركة بالتفاصيل البسيطة! أهذا مثل آخر عن الصداقة الحميمة التي تحدث عنها؟ شعرت بقلبها يخفق بسرعة. ها هي مستلقية في الظلام مع رجل، وتتحدث عن أشياء لا أحد غيرها يعلمها. هذه هي المشاركة الحقيقية والثقة بالآخر.

- أمشط شعري مئة مرة قبل أن أذهب إلى السرير.

ضحك براندن من أعماق صدره هذه المرة، وقال بصوت دافئ: «لا عجب أنك مكثت في غرفة الحمام طوال هذا الوقت».

ضحكت تيجان وعلقت: «قرأت مرة أن هذا مفيد لفروة الرأس».

- همم! هذه أمور تثير اهتمام الفتيات.

عاد الصمت ليملأ الغرفة إلى أن قالت تيجان: «حان دورك».

- أحب الحليب بالشوكولا مع الحبوب المطحونة صباحاً.

- تصرف طفولي!

- أفضل التفكير بأن هذا يجعلني أكثر حيوية.

سمعت صوتاً يصدر عن سريره ما إن تحرك، ثم قال: «حان دورك الآن».

ترددت تيجان للحظة ثم قالت: «يسعدني أنك أتيت معي اليوم. إنها المرة الأولى التي أدخل فيها إلى المستشفى منذ وفاة أبي».

لاقى اعترافها حركة أخرى منه في سريره. قال: «اعطني يدك».

مدّت يدها في الظلام، فأمسكت بها يده الدافئة. شبكا أصابعهما معاً، ومرر براندن إبهامه فوق بشرة رسغها الناعمة متحسساً نبضها.

- أنا أيضاً شعرت بالسعادة لأنني كنت قربك.

قلد إبهامها حركته على رسغه، وكان ذلك كافياً؛ كلمات بسيطة ويدان متشابكتان! ولأول مرة في حياتها شعرت تيجان بالأمان التام.

سمع براندن صوت أنفاسها تصبح أكثر عمقاً، وشعر بيدها تصبح أكثر ارتخاء، فابتسم من جديد في الظلام وهو يشعر بالأمل يضيء حياته.

٨ - اكرهك!

استمر ذلك الاحساس القوي بالمشاركة بينهما عند الصباح، حين وجدت تيجان نفسها في إحدى السيارات التابعة لشركة سياحية شهيرة في كيلارني. شعر براندن بالذهول أثناء تناول الفطور عندما أخبرته أنها لم تزر كيلارني من قبل، فسألها أي نوع من وكلاء السفر هي. لم يبق لديها أي خيار عندما أعلن لها أنهما سيتجولان في كيلارني كتعويض عما حدث معهما البارحة. ضحكا طوال الطريق أثناء الرحلة فيما أخبرهما السائق قصصاً عن المنطقة تتضمن الكثير من التعليقات المرحة. لكن ما أثار انتباهها هو أن مرحهما تخلله الكثير من اللحظات المليئة بالصداقة الحميمة. حيث كان براندن يبعد شعرها إلى الوراء، أو يضع ذراعه حول خصرها ليؤمن لها السلامة، أما هي فتريح رأسها على كتفه، وأحياناً يلف أصابعه حول أصابعها ويمسك بيدها، كما فعل عندما نزلا من السيارة أمام النصب الذي يطل على ساحة كنماري قبل أن يتوجها إلى البلدة للبحث عن هدايا للأطفال. أرجحا يديهما بلطف وهو يسألها: «هل تريدين أن تشتري لهم هوايا مسلية أم أشياء ذات قيمة ثقافية؟».

ابتسمت له وقالت: «خيار صعب. لكنني أراهن أنك ستبدو مكتئباً إن قلت هدايا تثقيفية».

قطب براندن جبينه على الفور، فضحكت تيجان وتابعت: «علمت ذلك. إذاً من الأفضل أن نحضر لهم أشياء تسعدهم لأنني لا أعلم إن كنت أستطيع العيش مع هذا الوجه».

- ليس هناك أي عيب في وجهي.

www.elromancia.com

- في معظم الأوقات، أوافقك الرأي.

- أرأيتِ؟

مال إلى الأمام لينظر إليها بإمعان أكثر وهو يتابع: «أنت تعتقدين أنني وسيم بالفعل».

- آه! صحيح...

توقفت في وسط الساحة المليئة بالناس وتابعت تقول: «... أنت حقاً فاتن!».

توقفت يده المتأرجحة عن الحركة ومدّ يده الحرة ليمسك بيدها الأخرى، وهكذا أصبحت يداها الاثنتان في قبضتيه. ألقى نظرة على حشود السياح التي تحيط بهما. رفع حاجبيه قبل أن ينظر إلى عينيها، ثم همس وأنفاسه تدغدغ وجهها: «أنت أيضاً فاتنة، بل رائعة الجمال».

من بين كل الأماكن التي توقعت فيها أن تعيش تجربة عناق مع براندن للمرة الثانية، لم تخطر في بالها مطلقاً ساحة مزدحمة بالسياح كهذه. لكن هذا هو المكان الذي اختاره.

عليها أن تتوقع المفاجآت منه!

مال برأسه نحوها وعيناه لا تفارقان عينيها. وعندما اتسعت عيناها ابتسم لها وعانقها...

تلك اللحظات المليئة بالعاطفة المتأججة ولدت لديها مشاعر قوية لم تشعر بها يوماً. جاء عناقه لطيفاً دافئاً جعلها تشعر كأن ذلك الجرح القديم شارف على الشفاء.

سُمع صفير عالٍ جداً أطلقه شخص يمر في المكان، فابتعدا عن بعضهما وهما يضحكان. فكرت تيجان أنها لم تشعر بهذا الاحساس مذ كانت في الحادية والعشرين من عمرها. لمعت عيناها وهي تنظر إليه، ثم قالت: «لم أتصور يوماً أن أحدهم سيعانقني وسط ساحة مكتظة بالناس».

ضغط بإصبعه على أنفها وهمس: «لم تكوني حية بالفعل من قبل».

ثم أطلق إحدى يديها، وعاد ليسير بقربها من جديد. راحت تيجان

تؤرجح يديهما هذه المرة، وسألته: «هل تريد أن ننطلق إلى المنزل عندما نحضر الهدايا؟».

نظر إليها وأجاب: «همم، اعتقدت أنك ترغبين بالعودة إلى المستشفى قبل أن نغادر».

توقفت عن تحريك يدها وعلقت: «لم أخطط للقيام بذلك».

تابعا السير باتجاه المتاجر ليتمكنا من النظر إلى واجهاتها العريضة. حاول براندن التحدث عن الأمر مجدداً: «ألا تعتقدين أنها فكرة جيدة؟».

توقفت تيجان أمام متجر للألعاب، وتنهدت لدى رؤيتها انعكاس صورتها. تمضية الصباح برفقته أبعدت أفكارها عن الشجار الذي حدث مع إيمير، لكن ها هي من جديد تشعر به كصداع دائم في مؤخرة رأسها. قالت: «لا أريد أن أتشاجر معها مرة ثانية».

- إذاً لا تفعلي!

- اعتقدت أنك قلت للتو إن الذهاب لرؤيتها فكرة جيدة؟

- لا يهم ما أفكر به.

رفع كتفيه واستمر بالتحديق في انعكاس صورتها في الواجهة الواسعة وهو يتابع: «ما تفكرين به هو المهم».

- بل يهمني ما تفكر به.

ابتسم رداً على الكلام الناعم اللطيف الذي تفوهت به. لقد قطعا مسافة طويلة جداً في وقت قصير. إنها قفزة نوعية لكليهما.

- يسعدني ذلك.

ابتسمت تيجان له وقالت: «إذاً، قل لي ما رأيك؟».

استدار قليلاً لينظر إلى وجهها بعد أن ترك يدها. لف ذراعيه حول خصرها، وأجاب: «أعتقد أن عليك الذهاب لرؤيتها من جديد والتحدث إليها. اصغي إلى ما تريد قوله بعد ما حدث البارحة، وأخبريها عن شعورك لكن بهدوء أكثر. لا بد أنك ستشعرين بالتحسن من جراء ذلك».

مالت برأسها إلى الوراء لكي تتمكن من النظر إلى عينيه، وعاودت التفكير بما قاله. لم تسأل أحدهم يوماً أن يقدم لها نصيحة عندما يتعلق الأمر بإيمير، ولطالما اتخذت قراراتها بمفردها. لكنه على حق كالعادة. تنهدت تيجان وهي تقول: «أحياناً أشعر أنني أكرهك!».

- أعلم أنك تفعلين.

مال برأسه إلى الأمام وعانقها عناقاً سريعاً، ثم تابع: «أحياناً أنا أيضاً لا أحب نفسي كثيراً».

* * *

عندما فتحت تيجان باب غرفة أختها، وجدت إيمير جالسة على كرسي لا في السرير. بدت جميلة جداً على الرغم من شحوبها. إنها الأجمل بينهما، فهي الفتاة الصغيرة بشعرها الأسود الداكن وابتسامتها الساحرة التي تأسر قلوب الجميع. لطالما شعرت تيجان أنها غير مرئية قربها، فهي الأخت الصامتة الجدية التي تشبه الصبية والتي توفر الأمان والعناية الدائمة لأختها الجميلة. لا تزال تيجان تشعر بذلك وهي تقف الآن وتنظر إليها. الأمر الوحيد الذي تغير فعلاً هو أنها لم تعد تبدو كالصبية الآن، كما أنها لم تعد صامتة أيضاً. زيارتها السابقة أثبتت ذلك بوضوح.

- مرحباً!

شعرت بتوتر حقيقي وهي تواجه أختها الغالية، لأول مرة في حياتها. إحساسها هذا سبب لها الحزن والألم. أتراهما ابتعدتا كثيراً عن بعضهما ولن تعودا إلى ما كانتا عليه في السابق؟ في الماضي كانتا تشعران أنهما معاً بمفردهما في مواجهة العالم بأسره. استدارت إيمير ورمشت بعينيها الواسعتين لرؤيتها. قالت: «مرحباً! ظننت أنك لن تعودي».

- أنا أيضاً. لكن براندن اقنعني بالعودة.

- آه! ألديه هذا التأثير عليك منذ الآن؟

ابتسمت تيجان ابتسامة صغيرة وأجابت: «يبدو ذلك واضحاً، وهو لم يتأثر مطلقاً بذلك الكلام القديم المليء بالعناد والتفاهة الذي اعتدت أن

أتفوه به دائماً».

هزت إيمير رأسها، وجالت بعينيها بين وجه تيجان وبين النافذة الواسعة قائلة: «هكذا يتصرف ماك معي، وأعتقد أنني لهذا أغرمت به».

نظرت تيجان حولها بحثاً عن كرسي آخر، فوجدت كرسياً من البلاستيك جرته لتجلس قبالة أختها. اتكأت إلى الوراء، وتنفست بعمق قبل أن تسألها بصورة مباشرة: «إذاً كيف ساءت الأمور معه؟».

- أنا السبب. أعتقد أنني أدفع الناس ليبتعدوا عني.

اتسعت عينا تيجان من الصدمة. آه، لا! هذا غير صحيح!

- لطالما كنت منفتحة على الجميع ومحبوبة.

- أتعتقدين ذلك؟

نظرت إيمير إلى أختها، وظهرت ابتسامة حزينة على وجهها وهي تتابع: «نحن لسنا مختلفتين بالفعل، تيجان».

- لكن أنت...!

- كنت بجانبي لتهتمي بي. هذا صحيح، وأنا أعلم ذلك. لا أستطيع تذكر حادثة في طفولتي لم تكوني أنت بقربي خلالها، لتقدمي لي الحب وتهتمي بي عوضاً عن أمي وأبي.

شعرت تيجان بألم في حلقها، فقالت: «أنت عائلتي».

- وأنت كنت رائعة معي.

عندما أدارت إيمير وجهها بالكامل إلى شقيقتها لمعت الدموع في عينيها. تابعت: «لم أتمكن من النجاح منذ أن انطلقت في الحياة بعيداً عنك. حاولت إنشاء عائلة سعيدة كما علمتني أن أفعل. اعتقدت أنني إن فعلت ذلك يمكنك أنت أن تجدي شخصاً رائعاً مثلك».

تنفست بحزن وإرهاق قبل أن تكمل: «لديك الكثير من الحب لتقدميه لعائلة خاصة بك، وشعرت أن من الخطأ أن أتمسك بك وأمنعك».

انهمرت دموع تيجان على وجهها وهي تفكر أنها لم تدرك يوماً ما تشعر به أختها نحوها، وأنها فشلت بشكل مفجع في تحقيق حلم إيمير بها.

يعود الفضل لبراندن الذي جعلها ترى أن حصول ذلك محتمل جداً في حياتها.

- آسفة لأنني تشاجرت معك.

- لا بأس، لا داعي للاعتذار.

مدّت إيمير يدها نحو أختها وابتسمت عندما أمسكت تيجان بها. تابعت: «كنت على حق. أحب هؤلاء الأطفال كثيراً تيجان، لكنني أحياناً أشعر أنني لست أماً جيدة لهم، وهذا يخيفني. لذلك أعتمد على ماك ليكون قربي ويساعدني. وربما بالغت في الأمر. وعندما واجهتنا المشاكل ركزت كل طاقتي على ذلك، بدلاً من محاولة إصلاح الأمر من خلال معاملتي لأطفالي».

لم تبالِ تيجان لانهمار الدموع على خديها. مضى وقت طويل على مشاركتها لأختها في مشاعرها. لم تعرف مطلقاً عن شعورها بأنها غير صالحة لتربية أطفالها. كان عليها أن تعلم ذلك، وربما كان عليها المساعدة أيضاً. إلا أنها انشغلت تماماً في بناء حياتها، محاولة أن تصرف كل وقتها في العمل كي لا تعترف أنها تشعر بالوحدة.

ضغطت على أصابع أختها وسألتها: «وهل يحبك ماك؟».

- أجل. لكنني رحت أضغط عليه ليبرهن ذلك، محاولة أن أجعله يدرك أن ذلك مهم لي. لطالما قال لي إنه يحبني لكنني لم أبالِ بالأمر. هذه المشكلة بسببي، فأنا من أفسد زواجنا.

- هل أصبح الأمر أفضل الآن؟

أضاءت الابتسامة وجهها بالرغم من دموعها، وقالت: «أجل تحدثنا لساعات ليلة البارحة. والآن لا أريد إلا رؤية أطفالي».

حاولت أن تميل إلى الأمام لكنها قطبت وجهها من الألم. اتكأت إلى الوراء ببطء، ثم سألت: «أخبريني عنهم؟».

مسحت تيجان خديها بيدها الثانية، ثم مدتها إلى حقيبتها لتحضر منديلاً ورقياً قدمته لإيمير، قبل أن تبهجها بقصص عن رحلتهم إلى حديقة

الحيوانات وعن إقامة مخيم في غرفة الجلوس. تحدثتا عن أشياء كثيرة لم تتحدثا عنها منذ زمن طويل، وشعرتا كأن الأمور عادت بينهما كما كانت عليه وهما صغيرتان. أثناء حديثهما فكرت تيجان أنهما تعملان على تحطيم أي علاقة حميمة في حياتيهما، لذا أقسمت أنها لن ترتكب الأخطاء التي ارتكبتها إيمير. لن تضغط على براندن ولن تقوم بامتحانه، فهذا سيكون عملاً مجحفاً بحقه، تماماً كما فعلت عندما أنكرت ما تشعر به نحوه في المرة السابقة. الحقيقة هي أنها ما زالت واقعة في غرامه مذ كانت في الحادية والعشرين من عمرها. على أي حال، هي لن تضغط عليه بأي شكل من الأشكال. ستعتمد على الوقت، وستنتظر. وعندما يصبح متأكداً مما يشعر به سوف تعلمه بشعورها. لن تتحول إلى شخص متملك غير سوي بل ستغتنم الفرصة لتنطلق في الحياة من جديد.

* * *

- أتعمل حقاً بشكل منتظم؟

- هذا من حسنات العمل الحر، فأنت من تنظمين ساعات عملك.

- أجل، فهمت هذا الأمر.

حاولت أن تمر أمامه من دون أن يتمكن من دغدغتها لكنها لم تستطع، وهكذا تابعت وهي تضحك: «مع ذلك عليك أن تعمل».

محاولاتها لتجنبه وهي تعد العشاء جعلته يبتسم. قال: «أعمل عندما أغادر منزلك».

- أحقاً؟ حتى أي ساعة؟

رفع براندن كتفيه وأجاب: «حتى الساعة الثالثة أو الرابعة».

- عند الصباح؟

اتسعت عيناها من الدهشة وسألته: «ألا تشعر بالارهاق؟».

الحقيقة هي أنه فعلاً مرهق، لكن الحقيقة الأخرى تقول إنه لا يريد أن يبتعد عنها لوقت طويل. ويبدو له أن حاجته إلى البقاء بقربها أهم من حاجته إلى النوم. من المحتمل أن سبب ذلك اعتقاده أن تمضية وقت طويل

بعيداً عنها سيعطيها الوقت الكافي لتفكر، وهويعلم إلى أين سيقودها ذلك...

أدارت تيجان ظهرها إلى طاولة الطعام، ومالت برأسها لتتمكن من رؤية وجهه بوضوح، ثم قالت: «ستنهار إن استمريت في العمل على هذا المنوال».

ابتسم لها بهدوء، ثم علق: «آه! لا تقلقي. لدي قدرة كبيرة على الاحتمال».

سمع ضحكتها ترن في أذنيه كمعزوفة موسيقية. ترك نظراته تتجول من أعلى رأسها حيث شعرها الأسود يشع كالتاج إلى حاجبيها ومن غمازة إلى غمازة في خديها حتى استقر نظره على شفتيها. عندما تكلم بدا صوته عميقاً أجش. قال: «أنا جدي في ما أقوله».

- هذا ما تقوله أنت.

إنها تتودد إليه من جديد بكل صراحة ووضوح، وهذا باد في لمعان عينيها. فجأة لم يعد براندن يشعر بأي تعب. بخطوة صغيرة إلى الأمام سَمّرها أمام الطاولة، ثم حرك ذراعيه واضعاً راحتي يديه على الطاولة من كلا جانبيها، اتسعت عيناها، وراح صدرها يرتفع وينخفض وهي تنتظر عناقه.

- متى ستأتي إيمير مع زوجها لاصطحاب الأطفال؟

أجابت تيجان وهي مخطوفة الأنفاس: «بعد غد».

هز براندن رأسه وجال بعينيه فوق وجهها، ثم قال: «علينا أن نتعامل بحذر مع مشاعرنا حتى رحيلهم».

ماذا بعد؟ راقبته بعينين واسعتين ما إن اقترب منها. وعندما حاولت أن تقابله في منتصف الطريق، مال برأسه بعيداً وهو يبتسم لها بجاذبية قائلاً: «آه... سنطبق قوانيني الخاصة».

لفحت أنفاسه عنقها وهويقول: «رائحتك عطرة».

تباً! رائحته أيضاً عطرة. إنها مزيج من العطر والمسك. هي رائحة

قوية جذابة خاصة به، شقت طريقها من أنفها إلى أعماقها فشعرت بانجذاب لا يقاوم نحوه. قالت وهي تحاول بجهد أن يبدو صوتها عادياً: «إنها رائحة زنبق الوادي».

زفرت الهواء الذي تحبسه في صدرها، فيما قال براندن: «أريدك.. أن تأتي لمقابلة عائلتي في عطلة نهاية هذا الأسبوع».

تجمدت تيجان في مكانها.

- ما الذي قلته للتو؟

أتراه تجاهل صدمتها، ظلت أنفاسه تلفح عنقها وهو يقول: «عائلتي. في نهاية هذا الأسبوع سيتم زفاف أختي».

حاولت جاهدة أن تتجاهل التشتت الذي تشعر به بسبب قربه الشديد منها، وركزت قوتها كلها على البقاء هادئة. لا يمكن أن يكون جدياً في ما يقوله.

- لا يمكن أن تكون جدياً.

توقف براندن عن الحركة فيما بقيت أنفاسه تتردد فوق عنقها وهو يتنشق رائحة عطرها بدوره. لكن صوته تبدل فأصبح أقل من همسة وهو يسألها: «هل هناك مشكلة ما؟».

كيف يمكن ألا يرى ما هي المشكلة؟ إنهما ما زالا في وضع جديد ومخيف بالنسبة لها. ومع أنها قررت قبول «الصداقة الحميمة» معه إلا أنه يجدر به أن يعلم أنها ما زالت بعيدة جداً عن تقبل التعارف مع العائلة، فالعائلات ليست موضوعها المفضل.

- براندن...!

- لا تقولي شيئاً.

رفع رأسه عالياً ليتمكن من النظر إلى وجهها وتابع: «لا تقدمي على التراجع هنا. إنها مجرد زيارة اجتماعية. حتى إنني أنا نفسي لا أعرف نصف الأشخاص الموجودين هناك».

حاولت البحث عن الزر الذي يعطيها الأمان. لكنه كان يرتدي

قميصاً زرقاء اللون كعينيه قصيرة الأكمام من دون أزرار، وهكذا لم يكن لديها أي مهرب. رفعت نظرها إليه على مضض، ثم قالت: «ألا تعتقد أن الوقت ما زال مبكراً لأتعرف إلى عائلتك؟».

- تيجان، أنا أعرفك منذ فترة طويلة. يمكننا الذهاب كصديقين قديمين...

تنفس بعمق وتابع بشجاعة: «...مع أنني أفضل كثيراً أن نذهب كخطيبين».

هل يعتبر براندن أنهما خطيبان؟ شعرت بقلبها يضطرب في صدرها وهي تحدق به. حسناً! إن لم يكونا خطيبين، فما هما إذاً؟ إنهما بدون أي شك يتصرفان كأي خطيبين. عندما أعاد آني وجيمس لهما الأطفال دعواهما لتناول العشاء عندهما كأنهما خطيبين. اذاً بدأ الناس ينظرون إليهما على أنهما كذلك. إنها أول خطوة للارتباط، وهذا ما تعرفه تيجان جيداً. تعرفه بسبب الارتباط الفعلي الذي تشعر به نحوه والذي يمكن أن يراه أي شخص ينظر إليهما معاً. لكن هل يمكنها أن تذهب معه لحضور حفل زفاف في عائلته؟ هل يمكنها أن تقدم نفسها لعائلته هكذا ببساطة؟ إنها بذلك تعلن ولو بصمت أنها خطيبته. أتراه حقاً يريد ذلك في هذا الوقت المبكر من علاقتهما؟

أدركت وهي تشعر بالصدمة أنها فعلاً تريده أن يفعل ذلك. تساءلت كيف أمكنها أن تقدم على هذا التغير الكامل والمفاجئ بعد سنوات من العيش بمفردها.

- أنا فعلاً... لا أعلم...

تراجع بعيداً عنها وقال: «حسناً! لا تقلقي بشأن ذلك. كانت تلك مجرد فكرة عابرة».

ها هي الآن تسبب الأذى له، وربما تعطيه انطباعاً أن كل ما يجري بينهما ليس مهماً بالنسبة لها. وهذا يؤلمها جداً، لأن علاقتهما مهمة جداً لها. وضعت يدها على صدره العريض ما إن رفع يديه عن الطاولة

وقالت: «لا! إن كنت حقاً تريدني أن أرافقك فسأفعل».

هذه خطوة كبيرة جداً بالنسبة إليها، وبراندن يعلم ذلك جيداً. موافقتها على هذه الخطوة أثرت به فعلاً وأعطته المزيد من الأمل. هذا عمل أقرب إلى تيجان التي يتذكرها في السابق. الفتاة التي تتقدم بشجاعة إلى الأمام حتى لو شعرت بالقلق أو الحيرة. استعدادها للقيام بذلك من أجله دفعه إلى الاعتراف ببعض الحقائق. قال بهدوء: «آخر مرة اجتمعت فيها بأفراد العائلة جميعاً كانت يوم زفافي».

للحظة شعرت كأن ضوءاً متوهجاً لمع أمامها. لا بد أن ذهابه لحضور حفل زفاف عائلي بمفرده سيشعره بالرعب. أليس كذلك؟ حسناً! إنه لا يحاول أن يخبر العالم أنهما على علاقة ما، إنه يحاول ببساطة أن يبرهن لعائلته أنه ليس وحيداً. هذا الأمر أصابها بالحزن والألم معاً، فشعرت كأن الهواء نفد من صدرها. بالرغم من أنها أقسمت أنها لن تبحث عن أي شيء غير موجود بالفعل، وأنها لن تضغط عليه مطلقاً، ها هي الآن تقرأ الكثير من وضعهما ومن علاقتهما. لكنها تدين له بالكثير بعد أن ساعدها على معرفة نفسها بصورة أفضل. أليس كذلك؟ هي لا تستطيع أن تدعه يذهب إلى ذلك الزفاف بمفرده. رسمت على وجهها ابتسامة تمنت أن تكون مقنعة، ثم تقدمت نحوه وطوقت عنقه بذراعيها وهي تقول: «سأذهب معك».

تنفس براندن بارتياح وأجاب: «هذا خبر جيد».

* * *

لم تره تيجان مطلقاً متوتراً من قبل، لذلك احتاجت إلى بضع لحظات لتتمكن من إدراك ذلك. علمت أنه قلق في اللحظة التي غادرا فيها منزلها. رأت ذلك في هيئة كتفيه وفي طريقة إمساكه بإحكام بمقود السيارة. حاولت أن تخفف عنه بتبادل أحاديث عامة لكن ذلك لم يجدِها نفعاً، لهذا واجهته قائلة: «ما الذي يجعلك شديد التوتر؟».

- أنا لست متوتراً.

- بلى، أنت كذلك.

ابتسمت له ابتسامة ناعمة، وتابعت: «أنت تمسك مقود السيارة كأنه خشبة الخلاص من الغرق أو الموت».

- أنا لست متوتراً.

نظر نحوها وتابع: «ربما... أشعر ببعض القلق».

- إذاً أخبرني... لماذا أنت قلق.

علمت أنه متوتر لأنه سيحضر تجربة زفاف آخر، لكنها تريده أن يتحدث عن الأمر.

- أنت لم تقابلي عائلتي من قبل.

- هل أنت متوتر لأجلي؟

ابتسمت وتابعت: «أنا متوترة بما فيه الكفاية، فلا داعي لتقلق أنت أيضاً».

النظرة الثانية التي رماها بها بدت أكثر حزماً وجدية. سألها: «هل تريدين العودة؟».

أجل! لكنها قالت: «لا!».

بدا كأنه لا يصدقها. علق قائلاً: «أنت كاذبة. لكنني سعيد لوجودك معي».

أبعد يده الكبيرة عن محرك السرعة في السيارة وأطبق بها على يدها الصغيرة الملقاة في حضنها. ضغط على أصابعها بقوة وقال: «سيحبونك جميعهم... إن تركتهم يفعلون».

حاولت تيجان أن تتجاهل يده الدافئة، وركزت على الحديث الدائر بينهما فقالت: «أخبرني القليل عنهم. لن أتذكر أسماءهم إن كانوا مجموعة كبيرة».

- اعتقدت أن من تعمل في وكالة للسفر ماهرة جداً في تذكر الأسماء.

- أستطيع ذلك في مجموعات من عشرة أشخاص أو أقل.

- آه!

وجه لها ابتسامة مرتاحة قبل أن يخفف ضغط يده عن يدها ويبعدها ليغير سرعة السيارة. كومت يدها في حضنها من جديد، فشعرت برجفة من البرد من دون لمسته الدافئة. قالت: «إذاً دعنا نسترجع بعض الأسماء».

- لا داعي لأن تقلقي بشأن الأسماء. سيسرعون من كل صوب ليعرفوا عن أنفسهم.

- هذا خبر جيد. أنت تجعلني أشعر بأنني سأكون بحالة أفضل عند وصولي إلى هناك.

ضحك من أعماق صدره بقوة حتى شعرت كأن السيارة تهتز من ضحكه. قال: «آسف».

حسناً! على الأقل لم يعد متوتراً كالسابق. ابتسمت عندما بدل سرعة السيارة ومدّ يده ليمسك بيدها.

سألته: «كم عدد الأشخاص الذين نتكلم عنهم، هنا؟ أقصد، هل كان عليّ أن أنتعل حذاء رياضياً للهرب؟».

- ربما.

نظر إلى وجهها مرة أخرى وهذا دفعه للضحك من جديد. قال: «إنهم أكثر مما تتوقعين».

- ماذا تعني بكلامك هذا، بالتحديد؟

مدّ يده وضغطت أصابعه الطويلة على يدها، ثم قال: «ابقي بقربي، وسوف نتمكن من النجاة معاً».

لم يعد براندن متوتراً كما كان في السابق، أما تيجان فشعرت فجأة بالخدر يتسلل إلى أوصالها.

٩ - لا تبتعد عني!

- آه، يا إلهي!

اندفعت امرأة طويلة أنيقة، ذات شعر رمادي مصفف بعناية، بقوة نحوهما ما إن وصلا أمام الباب. تابعت: «أهلاً بكما، يا عزيزاي!».

تجمدت تيجان في مكانها ما إن ضمتها المرأة إليها قبل أن تطبع قبلة على خدها، فيما تابعت: «لا بد أنك تيجان! أنا لويزا أم براندن. كم أنت جميلة! ادخلي... أهلاً بك».

نظرت تيجان إلى براندن، فكافأها بابتسامة عريضة من فوق كتف أمه، وقال: «مرحباً، أمي».

ابتعدت أمه عن تيجان قليلاً لتتمكن من التربيت على كتفه وتقول له بتجهم: «أنت لا تزورنا أبداً».

استدارت وعقدت ذراعها بذراع رفيقته، ثم سارت وهي ترشدها عبر القاعة الطويلة في أحد أضخم المنازل التي رأتها تيجان في حياتها.

- إنه لا يزورنا مطلقاً هذه الأيام. يجب أن تعملي على حل هذه المشكلة لأجلي، عزيزتي.

أدارت تيجان رأسها، ونظرت من فوق كتفها طالبة المساعدة بعينيها، فيما استمر براندن بالابتسام بكل بساطة. سُمع وقع العديد من الأقدام على الدرج، وظهرت ثلاث نساء يضحكن بصوت مرتفع. هتفت إحداهن: «براندن!».

سُمع صوته من وراء تيجان: «مرحباً! ألا يفترض بكن أن تنتهين من ارتداء ثيابكن في هذا الوقت؟ سمعت أن هناك مناسبة ما في هذا النهار».

تقدمت إحداهن إلى الأمام وهي تبتسم له بحرارة. ثم قالت: «ما تقوله مضحك حقاً».

ثم التفتت إلى تيجان وتابعت: «لا بد أنك تيجان! أنا آلي، شقيقة براندن. إنه يوم زفافي، وأنا سعيدة جداً بحضورك».

وجدت تيجان نفسها بين ذراعي العروس من جديد، ثم ضمتها إليها أخته الثانية والثالثة. شعرت بالألم في خديها بسبب الابتسام بشكل دائم، وعندما غادرت شقيقات براندن وهن يتسارعن لارتداء ثياب الاحتفال، أدركت أنها لم تقل كلمة واحدة حتى الآن.

- لديك منزل رائع، سيدة مكنامارا.

ربتت لويزا على ذراعها، ثم قالت: «آه! اسمي لويزا. إنه رائع حقاً. أليس كذلك؟ أنا فخورة جداً به. أصبح من السهل عليّ الاعتناء به الآن بعد أن كبر الأطفال وابتعدوا. لكن عندما كانوا يعيشون هنا..».

حركت عينيها بحركة دائرية وتابعت: «يا إلهي! كنت بالكاد تستطيعين إيجاد كرسي غير مغطى بالثياب والأغراض لتتمكني من الجلوس عليه. كان مثالاً للفوضى المطلقة».

حاولت تيجان بصعوبة متابعتها لشدة سرعتها في التكلم، لكنها نجحت بذلك ووجدت نفسها تبتسم للمرأة ابتسامة صادقة وكبيرة. كيف يمكنها ألا تفعل وهي أمام امرأة دافئة ومنفتحة على الجميع؟

- يمكنني تخيل ذلك.

- أما براندن... حسناً! كانت غرفته بحاجة إلى خبرة في تسلق الجبال لتتمكني من المرور بها. صدقيني!

هذه المرة، عندما نظرت تيجان للمحة من فوق كتفها رأته يحرك عينيه تماماً كما فعلت أمه.

- والآن، تعالي لتقابلي بقية الأولاد. إنهم متشوقون للقائك. جميعنا نرى أن الوقت حان ليتعرف براندن على فتاة لطيفة من جديد. جرت الأمور بطريقة سيئة في المرة السابقة لكن ذلك لا يعني أنه لا يستطيع

المحاولة من جديد. أليس كذلك، عزيزتي؟

- آه...!

- الأمر يحتاج إلى بعض الوقت، فالانسان لا يعيش بمفرده. ألا توافقيني الرأي؟

شعرت تيجان أنها سمعت هذا الكلام نفسه في مكان ما من قبل. نظرة واحدة إلى الوراء جعلت قلبها يعتصر من نظرة الألم التي رأتها على ملامح براندن، لكن أمه استمرت في التحدث متابعة: «كانت ربيكا فتاة رائعة، وهي تعمل في قطاع الكومبيوتر مثل براندن. لا بد أنك تعرفين ذلك».

تنهدت بطريقة مسرحية، وتابعت: «لكنها ليست له في نهاية المطاف. لطالما شعرنا بالقلق عليه».

في غضون خمس دقائق حصلت على معلومات عن زواج براندن أكثر مما تمكنت من معرفته منه. ومع أنها تريد معرفة ما حدث، لكن وصول هذه المعلومات إليها بسرعة أمام براندن نفسه أمر لا يناسب تيجان أبداً.

أبعدت لويزا يدها عن ذراعها، ودخلت الغرفة أمامهما وهي تقول: «الشبان كلهم هنا. ادخلي! سنحظى بوقت كاف لنتحدث في ما بعد، وعندها ستخبريني عن علاقتكما أنت وبراندن».

توقفت تيجان عن المسير حتى أصبح براندن بجانبها، ثم رفعت نظرها إلى وجهه ورأت التوتر الواضح عليه. أخفضت صوتها لتهمس في أذنه: «كان علينا أن نتعل أحذية رياضية».

أدار وجهه نحوها وابتسم، فيما لمعت عيناه بالحب والعاطفة. قال لها: «آسف!».

مدّت يدها نحوه، ومررت أصابعها بين أصابعه ثم ضغطت عليها بقوة. شعرت كأنها تستمد الراحة والقوة من تلك اللمسة البسيطة تماماً كما تقدمها له. قالت: «لا تذهب إلى أي مكان. حتى لو قلت لك إنني أريد الذهاب إلى غرفة الحمام».

ضغطت اليد التي تمسك بها على يدها بنعومة، ثم أمسك بها عند

حاجب الباب المفتوح لفترة كافية حتى تلامس أصابع يده الأخرى خدها وهمس في أذنها: «أعدك بذلك».

مرت ساعة قبل مغادرتهم إلى الكنيسة. سادت خلالها الفوضى، وتعرفت تيجان على عدد لا يحصى من الوجوه، فيما طلب الجميع مزيداً من المعلومات عنها. بدا لها أن أفراد عائلة مكنامارا لا حصر لهم.

تساءلت ما هو شعور الشخص الذي نشأ وترعرع في هذا الجو من الدفء والعاطفة الفياضة. تذكرت طفولتها البائسة وقررت أن عائلة كهذه لا بد أن تكون الجنة الحقيقية للطفلة التي كانتها. لكن بالحكم على ردة فعل براندن على التعليقات الكثيرة التي شملت بمعظمها حياته الشخصية، لا بد أن الأمر ليس سهلاً أبداً. ولم يتحسن الأمر عندما أصبحوا في الكنيسة.

- براندن! كم تسعدني رؤيتك. شعرنا بالأسى عندما سمعنا ما حدث بينكما أنت وربيكا.

- براندن! أنت تبدو أفضل بكثير من آخر مرة رأيتك فيها.

أو هناك من يغمزه قبل أن يقول: «أرى أنك تخطيت أزمة تحطيم قلبك. من تكون هذه؟».

على الرغم من تعليقاتهم، بدا لها أن هؤلاء الأقارب أكثر إحساساً من أولئك الذين أمطروه بالعناق ونظرات التعاطف. حتى إن إحدى خالاته بكت عندما رأته مع فتاة جديدة.

أرادت تيجان أن تصفعهم جميعاً بسبب سخافتهم وأن تبعده عنهم كلهم. بدلاً من ذلك أمسكت بيده الكبيرة طوال الوقت، وابتسمت حتى اعتقدت أنها لم تعد تملك الطاقة لتبتسم بعد اليوم. جلسا جنباً إلى جنب على مقعد خشبي طويل وكانت تلك أول لحظة لهما بمفردهما. ومال قرب أذنها ليهمس: «أخيراً حظينا بفرصة ما».

ابتسمت له بنعومة، وأخفضت صوتها لتقول هامسة: «هل أنت بخير؟».

رفع حاجبيه على الفور مستغرباً وسألها: «أنا؟ إنني بخير، فأنا معتاد على كل ما يجري هنا».

- هل أنت فعلاً كذلك؟

السؤال البسيط الذي تلفظت به دفعه ليبحث عن عينيها، وما رآه فيهما جعله يبعد نظره عنها. إنهما مليئتان بالحنان والاهتمام، فهي تشعر بالقلق عليه. شعر بأنفاسه تعلق في صدره. احتاج إلى لحظة ليتمكن من الابتسام لأحد أقاربه، ثم نظر إلى الأسفل حيث تمسك يداه بيدها، وقال: «كلهم يريدون لي الخير بطريقتهم الخاصة».

- بالنسبة للمكان الذي نشأت فيه، هذا يعني أنهم يتدخلون في ما لا يعنيهم.

هز براندن رأسه. قال: «لا. إن اعتقدوا أن هذا ما أفكر فيه سيشعرون بالألم. صدقيني! الأمر غير مهم فعلاً».

انتظرت تيجان حتى رفع ذقنه وابتسم لها لتطمئن، ثم قالت: «حسناً! لكنه مهم بالنسبة لي».

أصبحت ابتسامتة ملأى بالحب، وقال: «إذاً من حسن حظي أنك هنا لتهتمي بي. أليس كذلك؟».

نظرت إلى عينيه الزرقاوين وإلى رموشه الكثيفة وهي ترمش ببطء لها، فشعرت كأنها ضائعة ولم تعد تسمع إلا دقات قلبها. اقترب منها براندن أكثر وقال: «أنا سعيد جداً لأنك أتيت معي».

أجابته همساً وهي مخطوفة الأنفاس: «وأنا أيضاً».

بدأ عزف الموسيقى إيذاناً ببدء المراسم، فوقف الجميع. بقيت يد تيجان بيده وهما يراقبان آلي تدخل عبر الممر الواسع المزين بالأزهار ممسكة بذراع والدها. بقيا كذلك حتى انتهت المراسم.

لم تعلم تيجان مطلقاً لماذا بدت متأثرة بكل ما يجري أمامها، بالرغم من أن هذا ليس أول زفاف تحضره. أثناء زواجَي إيمير لم تشعر بمثل هذا التأثر العاطفي القوي. ما إن علا صوت المغني بأغنية عاطفية حتى

شعرت أنها فقدت كل مقاومة لديها. أحست بأصابع براندن تضغط على يدها وهي ترفع نظرها إلى وجهه. ابتسمت له بعينين تشعان بالمحبة، فابتسم براندن لها وترك يدها، ليضع ذراعه حول كتفيها.

لمسة شفتيه على شعرها بدت خفيفة جداً لدرجة جعلتها تظن أنها تخيلت ذلك. لكنها علمت في قلبها أنه فعلاً طبع قبلة على شعرها... تماماً كما هي متأكدة من أنها مغرمة به.

عندما فكر براندن بدعوة تيجان لمقابلة عائلته لم يكن يقصد أنه سيختبئ وراءها. إنهم ببساطة الأشخاص الذين يهتم لهم ويريدهم أن يلتقوا بفتاة يهتم لأمرها أيضاً. كما أنه أرادها أن ترى أن ليس كل العائلات مثل عائلتها، مع أن هذا ارتد عليه بطريقة ما. لكن... ما من عائلة كاملة. أهم ما في عائلته هو معرفته أنهم دائماً هناك لأجله. لطالما كانوا قربه حتى لو كانت طريقتهم لإظهار حبهم وعاطفتهم الصادقة هي التحدث بصراحة عن الأشياء المريرة والصعبة.

حسناً! هو ليس ضعيفاً ويحتاج إلى أن يبرهن أنه ليس وحيداً أو حزيناً بإحضار فتاة ما إلى الزفاف، كما أن تيجان ليست مجرد فتاة عادية تمر بصورة عابرة في حياته. إنها تيجان! ابتسم ابتسامة عريضة ما إن رأى تأثر الجميع بها، إذ بدا كأنها سحرتهم كلهم.

- من الرائع أن نرى براندن قد أحسن الاختيار من جديد.

فتحت الخالة ليز فمها لتضيف المزيد، لكن تيجان بادرتها القول: «أليس ما تقولينه صحيحاً؟».

لفت ذراعها حول خصره وابتسمت بفرح واضح للمرأة العجوز، ثم تابعت: «سمعت الكثير عنكم جميعاً، ولم أستطع الانتظار لأتعرف عليكم».

رمشت بجفونها بسرعة وأضافت: «أنا آسفة جداً، لم أتمكن من معرفة اسمك».

- أنا ليز شقيقة أم براندن.

حاول براندن ألا ينفجر بالضحك، فيما مدّت تيجان يدها لتصافح خالته وهي تقول: «يسعدني لقاؤك. أنا تيجان ديلاني. أليس هذا الزفاف رائعاً؟ آلي تبدو فاتنة، أما تلك الفساتين الرائعة فقد صنعت بإتقان وجمال مميزين. ألا تعتقدين ذلك؟ هذا الزفاف أكبر زفاف شاهدته يوماً».

بدت الخالة ليز مندهشة للحظات قليلة، وكأنها شعرت بالانبهار عندما تحدثت مع النجمة المشرقة الجديدة التي حلت بينهم، وعلى الفور شعرت بالتعاطف نحوها.

- بالطبع، إنها رائعة! تطلب الأمر الكثير من العمل...

أطلقت سراح يد تيجان، لكنها لم تتوقف عن الكلام حتى لتتنفس: «...لكنني لا أعلم كيف تمكنت من القيام بهذا كله. نحن نحرص دائماً على إقامة زفاف ضخم جداً. زفاف براندن..».

- ما أجمل قبعتك، ليز! كيف تمكنت من إيجاد قبعة مناسبة لثوبك كهذه؟

بعد مرور خمس دقائق أخرى من التحدث بمواضيع تختص بالفتيات، قاطعهما براندن. فهو لم يعد يحتمل كبت ضحكته أكثر من ذلك.

- خالتي ليز... أنت لا تمانعين إن سرقت تيجان منك لنرقص. أليس كذلك؟

- بالطبع لا أمانع.

وقفت الخالة على رؤوس أصابع قدميها وطبعت قبلة على خده، ثم همست بصوت عال: «إنها رائعة. عليك التمسك بها».

- سأفعل كل ما بوسعي.

طبع قبلة على خدها قبل أن يجر تيجان بعيداً عنها. ابتعد خطوتين قبل أن يبدأ بالضحك بصوت مرتفع.

- ما الذي يضحكك؟

- أنت مذهلة!

سارا معاً ضمن الحشد ليصلا إلى باحة الرقص، فيما تابع يقول:

«أنت فعلاً رائعة».

- أهذا ما يضحكك؟

عندما داست قدميها على الأرض الخشبية أدارها حول نفسها مرة ثم أخرى، وأخيراً ضمها إليه وأجاب: «أنت حقاً منفتحة على التحدث مع عائلتي. لم أفكر للحظة أن هذا ممكن».

ابتسمت تيجان له وأجابت: «نجح الأمر. أليس كذلك؟».

- بالطبع!

ضربته على كتفه قبل أن تضع يدها هناك، وقالت: «ما زلت أحاول أن أخبرك كم أنا فتاة ذكية».

- أعرف ذلك منذ زمن بعيد.

تمايل جسداهما على ألحان الموسيقى، وابتسمت تيجان له ما إن أدركت أنهما يرقصان بمنتهى السهولة. لم يكن هناك أي توتر، ولم يحتاجا لأي وقت ليتكيفا مع بعضهما، بل تناسبا تماماً وكأنهما اعتادا أن يرقصا معاً لسنوات طويلة.

- إذاً، هل تريد أن تخبرني عن ربيكا بنفسك، أم عليّ أن أسأل أفراد عائلتك عنها؟

تصلب جسمه وأخطأ بخطوة وهو يرقص. ضغطت ذراعه حول خصرها لتبقى ثابتة على حلبة الرقص، ثم نظر إلى قدميه للحظة قبل أن يتابع الرقص بخطوات أكثر هدوءاً.

ابتسمت تيجان له بنعومة كأنها تشجعه، وقالت: «الحديث هو عمل مشترك كما سمعت يوماً».

لكن عندما أجاب بدت نبرة صوته باردة: «أجل. هذا ما أعتقده».

مرت موجة من الاحساس بالندم على وجهها، مع أن من الطبيعي أن تشعر بالفضول بعد ما سمعته من تعليقات. تجنبت نظرته الحازمة وقالت: «آسفة. تفوهت بالكلام من غير أن أفكر».

تابعا الرقص. انتهت الأغنية وبدأت أغنية أخرى قبل أن يتحدث

www.elromancia.com

براندن. إنها على حق، فالحديث عمل مشترك. إن أراد لعلاقتهما أن تستمر عليه أن ينفتح عليها كما تحاول هي أن تفعل.

- خالتي ليز محقة، فالزفاف كان شبيهاً جداً بهذا الزفاف. إنها الوجوه نفسها تقريباً.

عادت عيناها الخضراوان تجولان على وجهه، وظهرت فيهما مئات الأسئلة.

- كيف تقابلتما؟

- كانت تعمل في الشركة التي كنت أعمل فيها قبل أن أنتقل للعمل بمفردي.

- أهي الشركة التي عملت فيها مباشرة بعد التخرج من الجامعة؟

- أجل.

ابتسم ما إن أدرك أنها كانت تعلم إلى أين ذهب. تابع: «كنت تتابعين أخباري. أليس كذلك؟».

تورد خداها من الاحراج، وقالت: «لا. لكن شانون ذكرت لي ذلك مرة».

- وهل ما زلت تتصلين بها؟

- نتحدث مع بعضنا مرات قليلة في السنة كلها، ونتناول الغداء معاً عندما تزور البلدة. أستطيع أن أعطيك رقم هاتفها إن رغبت بذلك.

أشاحت بوجهها بعيداً عن عينيه فشدها إليه أكثر. لم يشأ أن يسمي ما سمعه في صوتها بالغيرة، لكنه سيسعد بذلك إن كان صحيحاً.

- لا! أحب كثيراً رفيقتي في هذه الأيام.

ابتسمت تيجان لدى سماعها كلامه، فابتسم لها بدوره. مالت برأسها إلى الوراء قليلاً، لكنها لم تستطع أن تنظر إلى وجهه بقدر ما تشاء بسبب ارتفاع كعبي حذائها. قالت: «إذاً، هل عرفتما بعضكما لفترة كافية قبل أن تتزوجا؟».

- ليس لوقت كافٍ كما تبين في نهاية الأمر.

- هل كنت مغرماً جداً بها؟

كاد السؤال يمزقها إلى نصفين، لكنها بحاجة لأن تعرف. لم يذكر أحد خلال النهار أي أمر سيء يتعلق بالشهيرة ريبكا. تمكنت تيجان من إظهار عدم اهتمامها من خلال تبديل الحديث مع عائلته عن أي أمر يتعلق بها، لكن ذلك لم يمنعها من الشعور بالغيرة من تلك المرأة.

انتهى عزف الموسيقى وبدأ الراقصون بالابتعاد عن حلبة الرقص، بينما أخذت الفرقة الموسيقية فترة استراحة قصيرة. استمر براندن في الامساك بتيجان بينما مرت ملايين الذكريات داخل مخيلته. راقب انعكاس الأنوار في أعماق عينيها اللتين أظهرتا عدداً من الألوان تشبه ألوان العقيق الأخضر، وأدرك فجأة الجواب عن سؤالها. أدركه بوضوح كلي، فشعر كأنه أصيب بضربة كادت توقعه أرضاً. كان عليه أن يدرك ذلك منذ زمن بعيد...

- هذا ما حدث، تيجان. لم أعلم من قبل أنني لست مغرماً بها.

حدقت إليه بعينين واسعتين، وبدا من الواضح أنها أصيبت بصدمة كبرى. أبعد براندن نظراته عن وجهها المصدوم. كيف تراه لم يدرك هذا من قبل؟ لماذا لم يفهم من قبل سبب فشل زواجه؟ اعتقد في ذلك الوقت أن كل شيء يسير على ما يرام، وأنه سيعيش مع ريبكا حتى آخر العمر، وأنهما سيحظيان بالعائلة التي حلم بها دوماً. والآن بعد أن أدرك الحقيقة شعر كأنه حقير نذل. ما كان عليه مطلقاً الزواج بريبكا...

- لم أحبها بما يكفي لأصارع كما يجب من أجل إنقاذ زواجنا، وهكذا رحلت. ولكي أكون صريحاً، لا أستطيع إلقاء أي لوم عليها.

نظر إليها للمحة أخيرة قبل أن يبتعد خطوة إلى الوراء. أبعد ذراعيه عنها ونظر إلى حلبة الرقص الفارغة، ثم قال: «عليّ أن أذهب لأتأكد من إتمام الحجز للغرفتين اللتين طلبت حجزهما. سأعود بعد قليل».

- اعتقدت أنك ستحرسني حتى لو قلت إنني أريد الذهاب إلى غرفة الحمام؟

حاولت أن تخرق التوتر السائد بينهما، وفهم براندن ذلك، لكنه بحاجة إلى الابتعاد عنها قليلاً ليتمكن من استيعاب ما اعترف به لنفسه للتو. رسم ابتسامة على وجهه قبل أن يقول: «عزيزتي! مما أراه، أعتقد أنك بألف خير معهم كلهم».

- هم ليسوا سيئين أبداً.

- أجل، كما أنهم أحبوك.

- أنا سعيدة بذلك.

هذا هو التغيير الذي أمل بتحقيقه عندما أحضرها معه إلى الزفاف. يجدر به أن يسعد كثيراً لأنها تنفتح على محادثة الناس والتقرب منهم، كما يجدر به أن يظهر لها بدون تحفظ كم يسعده انسجامها مع عائلته. لكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك.

- لن أتأخر كثيراً.

ما إن استدار حتى أوقفه صوتها الناعم: «لماذا أردتني أن آتي بصحبتك إلى هذا الزفاف؟».

توقف براندن مكانه، ثم استدار وسار خطوة ليصبح أمامها. سألها: «لماذا تعتقدين أنني دعوتك؟».

- لم يكن من السهل عليك حضور الزفاف بمفردك وهم لا يزالون يتحدثون عن زفافك. أريد فقط أن تعلم أنني أتفهم ذلك.

تباً! هل اعتقدت أن هذا هو السبب؟ تشاركت وإياه الأسابيع القليلة الأخيرة لكن يبدو أنها حقاً لا تعرفه أبداً. أعلمه هذا بدون أي شك أن أمامهما طريقاً طويلة عليهما اجتيازها قبل أن يتمكن من إخبارها بما أدركه الآن. لكنه تركها مع إجابة بسيطة وهزة من رأسه، عندما قال لها: «ليس هذا هو السبب!».

* * *

ليس هذا هو السبب!

مرت الكلمات في ذهنها مراراً وتكراراً عندما جلست أمام المرآة على

كرسي طاولة الزينة في غرفتها في الفندق. إنها غرفة جميلة يتوسطها سرير كبير ذو أربعة أعمدة تحمل الستائر الحريرية. لكنها لم تهتم مطلقاً بأناقة الغرفة وجمالها وهي تمرر الفرشاة في شعرها.

ليس هذا هو السبب! كادت تسمع صوته يكرر الكلمات في الغرفة.

لم يشرح لها ما قاله بأي كلمة أخرى. ببساطة نظر إلى عينيها، ثم استدار وسار مبتعداً. بالطبع، عاد إلى قاعة الاحتفال بعد قليل، لكنها في تلك الأثناء كانت محاطة بعائلته. مرّ ما تبقى من الأمسية في فوضى كاملة، ثم أحيطت من جديد بالعناق والقبل والأصوات العالية المتنافسة وهي تتمنى لها مساء سعيداً. لم تشعر تيجان يوماً بمثل هذا الاحساس بالأمان والإلفة، إلا أنها أدركت بقوة التغير الذي طرأ على براندن. سؤالها عن ربيكا غلطة كبرى. ما الذي كانت تفكر به؟ إنها ببساطة لم تفكر إلا من منطلق فضولها وغيرتها. من هي تلك المرأة الغامضة التي احتلت قلبه لدرجة أنه قرر الزواج منها؟ لماذا لم ينجح زواجهما؟ إن أي امرأة عاقلة تحظى ببراندن كزوج لها لن ترغب بعده بأي رجل آخر!

لو أنه أراد أن يخبرها عن ربيكا وزواجه بها لفعل في الوقت الذي يحدده بنفسه وبطريقته الخاصة، وهي تؤمن أنه سيفعل. عندئذٍ ستصغي إليه باهتمام وصدق. من المؤكد أنه يعرف ذلك.

توقفت يدها عن الحركة وهي ترفع الفرشاة في الهواء. حدقت بانعكاس صورتها بعينين واسعتين؛ أتراه حقاً يعرف ذلك؟ هل يعرف أنها ستقف بقربه تماماً كما وقف هو بقربها وكان داعماً لها؟ هذا ما يفعله الناس للأشخاص الذين يهتمون لهم. لهذا أرادها أن تأتي معه وتلتقي بعائلته. أليس كذلك؟ أحضرها معه لأنه يهتم لأمرها. وربما لأنه يريد أن يدرك أفراد عائلته ذلك.

توجهت تيجان على الفور إلى غرفته، ولم تتوقف لحظة واحدة لتفكر بما سيقوله من يراها وهي تضع عباءتها فوق ثياب النوم، فيما هي تجتاز الرواق في الفندق الفخم لتصل إلى هناك.

حدق بها براندن لوقت طويل عندما فتح الباب، ثم نظر يمنة ويسرة عبر الممر قبل أن يمسك بيدها ويشدها إلى الداخل. وهو يسألها: «ما الأمر؟».

لاحظت تيجان أنه لم يبدل ثيابه بعد، إلا أنه رمى سترة بذلته على ظهر كرسي كما نزع ربطة عنقه، وفك زرين من أزرار قميصه البيضاء. بينما ترتدي هي قميص نوم مصنوعة من الحرير الشفاف، تضع فوقها عباءة فضفاضة.

ضمت ذراعيها إلى صدرها محاولة أن تصرف انتباهها عن الاحساس المفاجئ بنفسها وبثيابها. نظرت حولها في الغرفة فرأت أنها غرفة شبيهة بغرفتها لكن ألوانها مختلفة.

- تيجان؟!

رمشت بعينيها ونظرت مجدداً إليه. تأملت شعره الجميل فبدا لها أنه يقف منتصباً بأشكال مختلفة وكأنه مرر أصابعه خلاله عشرات المرات. تباً، كم يبدو وسيماً وجذاباً!

سمعت صوته يصلها بهدوء يشوبه القلق وهو يسألها: «ما الأمر، تيجان؟».

ظهرت تعابير القلق على وجهه الوسيم وهو يتقدم نحوها، ثم يمدّ يده ليلمس كتفها.

- ما الأمر؟

فكرت أن لا جدوى من الكلام، فهي لا تريد التحدث. بإمكانها أن تجعله يدرك ما تشعر به بطرق مختلفة. لا حاجة للكلمات للتعبير عما يشعر به المرء. تقدمت خطوة إلى الأمام وألقت رأسها على صدره. لم تلمسه بيديها بل فقط استلقت على صدره ببساطة. ربما حان الوقت لتظهر له اهتمامها وتعاطفها تماماً كما فعل هو. رفعت رأسها لتتمكن من رؤية وجهه، فيما بقي براندن جامداً كصخرة في العاصفة. لكنها علمت من خلال ارتفاع صدره وهبوطه أنه تأثر فعلاً بما فعلته.

تأوه براندن وهمس: «تيجان...!».

ابتسمت له وهي تهمس بنعومة: «صه! سنطبق قوانيني الخاصة».

رفع يديه ليمسك بكتفيها. لكن تيجان استمرت ببساطة في إلقاء رأسها على صدره، فيما وقفت على رؤوس أصابع قدميها لتصل أنفاسها إلى ما تحت أذنه.

حرك ذراعيه بسرعة، وقبل أن تدرك ما يفعله وجدت رسغيها مكبلين وهو يدفعها بعيداً عنه. نظر إليها بعينين مليئتين بالتصميم وهي ترفع ذقنها بكبرياء. إنها تعلم بدون أي شك كم يرغب في عناقها. سألته: «ما الأمر، قل لي؟».

تردد براندن ولم يستطع قول أي شيء. لم تره يوماً غير قادر عن التعبير وإيجاد الكلمات المناسبة للتحدث عن أي أمر، وجعلها ذلك تشعر بالخوف حتى الموت. مهما يكن الأمر، لا بد أنه خطير جداً ومهم. راودها شعور عميق أن هناك مشكلة تتعلق بها.

- ما كان عليّ أن أسألك عنها. أليس كذلك؟

حبس أنفاسه من شدة الغضب. إنها على حق، فالمرأة تبدو كشبح معلق فوق رأسيهما. كانت كذلك طوال هذا النهار المزعج. تابعت تيجان عندما تمنع عن الإجابة: «لا بد أن سوءاً ما حدث منذ ذلك الحين، وما زلت تشعر بالألم إن تحدثت عن ذلك».

راقبت الصراع الداخلي الذي ظهر بوضوح على وجهه، واتخذت قرارها بأن تساعده تماماً كما ساعدها. فهي لا تستطيع تحمل نظرة العذاب في عينيه. بقي براندن صامتاً فاستغلت الفرصة لتقول: «لا داعي للتحدث عن الأمر إن كنت لا ترغب بذلك. كل ما في الأمر أنني أريد فقط أن أكون معك».

خفف الضغط على رسغيها وسألها: «لماذا؟».

شعرت كأن الكلمات تندفع على طرف لسانها، لكنها كبحتها. لن تدفعه كي يتلفظ بكلمات عاطفية هو لا يشعر بها الآن، أو ربما... قد

www.liilas-romancia.com

لا يشعر مطلقاً بما تشعر به، وسيجد نفسه مضطراً إلى الافصاح عن رأيه بلطف كي لا يحرجها. من الواضح أنه لم يتخطّ بعد زواجه من ربيكا. ما زال الوقت مبكراً جداً، تماماً كما كان بالنسبة لها لو سمحت لعلاقتهما أن تتخطى حدود الصداقة قبل الآن. عليها أن تستعمل سيطرتها الذاتية على نفسها وتقدم له الوقت الذي يحتاجه. ارتاحت يداه الكبيرتان اللتان تمسكان بها إذ راح يلامس النبض عند رسغها بإبهامه بحنان ورقة. وعندما سألها من جديد جاء صوته محملاً بتلك النبرة العميقة التي سمعتها منذ قليل: «أخبريني... لماذا؟».

ابتلعت تيجان الغصة المؤلمة التي ظهرت فجأة في حلقها. ابتسمت واعترفت بالقدر التي سمحت لنفسها بتوضيحه فقالت: «لأنني لا أريد أن يشعر أي منا بالوحدة بعد الآن».

- تباً... تيجان!

ترك الاحساس بالاحباط والغضب اللذين يشعر بهما يظهران جلياً في صوته وهو يتابع: «أنت تسعين دائماً لجعل هذا الأمر صعباً عليّ أيضاً. أليس كذلك؟».

- كيف يمكن أن أصعب عليك الأمور وأنا التي جئت إليك؟

لم تستطع أن تفهم لماذا يغضب منها بسبب ذلك.

- هذا يجعل الأمر أكثر صعوبة. لا أريد أن أدفعك بعيداً عني، كما أنني لا أريد التودد إليك إن كان هذا سيزيد الأمور تعقيداً.

- هل تريدني في حياتك؟

سمعت نبرة حادة في صوته ما إن ضغط بيديه عليها من جديد وهو يقول: «تيجان! لا تسألي أسئلة غبية».

الغضب هو الأمر الوحيد الذي تستطيع تيجان التعامل معه بمهارة شديدة، لذا فإن غضبه لم يثبط عزيمتها، قالت: «أنا أيضاً أريدك في حياتي. لذا أخبرني بالتحديد أين هي المشكلة؟».

رأى براندن بوضوح شرارات الغضب في عينيها، ولاحظ توهج

خديها. كما لاحظ ارتفاع صدرها وهبوطه من تحت ياقة عباءتها. إنه لم يتأثر يوماً بجمال امرأة كما هو الآن، ولم يشعر بشوق نحو أي امرأة كما يشعر نحو تيجان. كيف يمكن لأي رجل أن ينظر إليها وهي تبدو بهذا الجمال ولا يشعر بالرغبة في التقرب منها.

- حسناً... ماذا؟

مالت برأسها إلى جهة واحدة بتحدٍ، ورفعت حاجبيها بعصبية. واجه النار بالنار وهو يرد عليها: «هل ستقولين الآن إن ذلك التصميم القوي على العيش بمفردك قد اختفى نهائياً بسبب الصداقة التي نشأت بيننا في هذه الأسابيع القليلة، أم أنك ما زلت تحاولين إقناع نفسك بذلك؟».

أجفلت تيجان على الفور، وقالت: «أيها اللعين، أنت..».

ظهر الضيق على وجهه من جديد وهو يضغط على فكه بقوة.

- أنت تحاول الانتقام مني لأنني سببت لك الأذى في وقت سابق. أليس كذلك؟

- أنت لم تسببي لي أي أذى.

- إذاً، ما الأمر؟

قاومت بشدة لتتمكن من إطلاق ذراعيها، لكنه أمسك بها بقوة أكبر، فضغطت على أسنانها بقوة وعلقت: «هل تعتقد أنني لا أعرف كيف تسير هذه الأمور؟ هل تعتقد أن من السهل علي أن أعترف أنك الرجل الوحيد الذي تعلقت به يوماً بالرغم من صعوبة هذا الأمر عليّ؟».

مقاومة نفسه عمل صعب جداً عليه، لكن مقاومتها عمل أصعب. ضمها براندن إليه بقوة متخلصاً من غضبه وحزنه بسبب عدم قدرته على الاعتراف بحبها الآن، محاولاً أن يدعها تفهم ما لا يستطيع قوله في كلمات. فكر أنها ستقاومه، فمن المؤكد أنها غاضبة جداً منه. لكنها لم تفعل، وبدلاً من ذلك بادلته العناق بمشاعر صادقة. احتاجا إلى عدة دقائق ليتمكنا من التنفس بهدوء وهما يحدقان ببعضهما. بعد ذلك قال لها براندن بصوت هادئ: «ما زلت على رأيي تيجان. افهمي ذلك جيداً. ما

زال الوقت مبكراً على أي علاقة جدية بيننا».

حاولت الابتعاد عنه بقوة وهي تقول: «إذاً دعني وشأني لأتمكن من مغادرة الغرفة».

- لا أريدك أن تغادري.

نبرته الناعمة المليئة بالحزم دفعتها للتوقف عن الصراع والاصغاء إليه.

- ما أريد القيام به هو أن نجلس معاً على تلك الأريكة لأتمكن من ضمك إلي.

شعرت بقدميها تندفعان إلى الوراء وهو يدفع بها نحو الأريكة الكبيرة.

- فقط سأضمك إلي. ربما تدركين حينها أن هذه الوسيلة هي أكثر الأمور التي تقرب ما بين شخصين.

جلسا على الأريكة بهدوء فيما بقيت عيناه مسمرتين على عينيها وهو يقول: «أنا إنسان عادي، تيجان. يصعب علي أن أتمالك نفسي عندما تكونين بقربي، لكن تأكدي أنني سأحافظ على عهدي».

لماذا لا تستطيع أن تقول له شيئاً ما؟ بإمكانها أن تقول له كلاماً حاسماً أو لاذعاً يصدم تفاخره وثقته بنفسه. لماذا عليه أن يقوم باتخاذ كل القرارات التي تتعلق بهما؟

مال نحوها وقال: «إن أردنا لعلاقتنا أن تنجح، وأردنا الارتباط لمدى طويل بالطريقة التي أمضيت معظم حياتك وأنت تتجنبينها، عندها نحن بحاجة إلى السير ببطء وحذر. بهذه الطريقة، ستكون علاقتنا الطبيعية هي أفضل تجربة نعيشها في حياتنا كلها».

شعرت بعناقه كأنه لمسة جناح فراشة، بل هو وعد بالاخلاص والحب الدائم.

١٠ - غيرة، دموع و... وداع

شعرت تيجان بالسعادة لعودتها إلى العمل! إنه الملجأ الذي تلوذ إليه هرباً من مشاكل الحياة. أما الأعمال المتراكمة فوق مكتبها فبدت كأنها أفضل شيء رأته في حياتها كلها. عندما تستغرق في عملها لن تجد الوقت لتمعن التفكير في كونها مغرمة، وكون حبها لبراندن أمراً يتعذر تغييره.

لسوء الحظ تمكنت من إنهاء كل الأعمال غير المنجزة في غضون يوم واحد. هذا يعني أنها انتهت بالنظر إلى الفضاء عند الساعة السادسة، وعادت تمعن التفكير بكل ما حدث في حفل الزفاف وفي الفندق. راحت تستعيد الأحداث مراراً وتكراراً في رأسها ببطء شديد بدلاً من القيام بروتينها العادي في الذهاب إلى المنزل.

منذ تلك الليلة، باتت تشعر أنها تعيش حالة من الحب الدائم طوال الأربع والعشرين ساعة في اليوم. حتى إنها تكاد تصرخ بصوت مرتفع لتعبر عن إحباطها وضيقها. تباً لكل ما يجري!

تخلت عن فكرة البحث عن المزيد من العمل الذي يمكنها أن تقوم به، وقررت بدلاً من ذلك زيارة إيمير قبل الذهاب إلى المنزل. على أي حال، براندن ليس في البلدة اليوم فهو يقوم ببعض الأعمال الخاصة بمهنته، لذلك ما من داع للعجلة. هي بحاجة إلى ما يصرف انتباهها ولو لفترة قصيرة عن إحساسها بالشوق إليه، كما أنها حقاً مشتاقة للأطفال.

عندما وصلت إلى هناك ركض جوني وكاتي لاستقبالها عند الباب.

- هاي! أيها الطفلان... رويدكما، فأنتما تكادان توقعاني على الأرض.

نظر جوني خلفها بحثاً عمن يتبعها وهو يقول: «هل أحضرت براندن معك؟ هل هو هنا؟».

- لا، ليس اليوم حبيبي. ربما في المرة القادمة.

لمعت عينا كاتي من الفرح والحماس، وقالت: «هل يمكننا أن ننصب الخيم، خالتي تيجان؟».

مالت إيمير من فوق رأسي طفليها لتطبع قبلة على خد تيجان وهي تقول: «لا! لا يمكنك أن تنصبي أي خيمة. هيا، ادخلي! يا لهذه المفاجأة الرائعة!».

ابتسمت تيجان رداً على الترحيب الحار بها، إذ عاد الوفاق ليسود بينهما منذ لقائهما في المستشفى، وبعد زيارة إيمير القصيرة لها عندما حضرت لتأخذ الأطفال. جعلها ذلك تشعر بالفرح لعودة شقيقتها إليها... شقيقة تستطيع أن تتخذها صديقة لها.

- كيف تشعرين؟

- ما زلت أشعر بقليل من الخدر، لكنني أفضل بشكل عام.

ابتسمت إيمير من وراء كتفها وهي تنظر إلى طفليها وهما يمسكان بيدي تيجان، ثم تابعت: «إنهم لا يفعلون شيئاً سوى التحدث عن تلك الفترة التي أمضوها في منزلك. أحبوا الأمر كثيراً».

- إذاً يجب أن يأتوا للبقاء عندي مجدداً.

بدأ الطفلان بالقفز قربها، وسمعت تيجان صراخاً قادماً من جهة الكرسي العالي أمام طاولة المطبخ قبل أن تقول ميغان: «هل نستطيع أمي؟ هل نستطيع؟».

- تحتاج خالتك تيجان إلى بعض الراحة بعد زيارتكم الأخيرة. ألا تعتقدين ذلك؟

رفعت تيجان نظرها عن ميغان وابتسمت للطفلين بقربها. ركعت لتصل إلى مستوى طولهما وقالت: «حسناً! واجهتنا بعض الصعوبات، لكن إن وعدتماني بترتيب غرفتيكما ستأتون للبقاء عندي قبل أن تذهبا إلى

المدرسة. ما رأيكما؟».

- سأذهب لترتيب غرفتي في الحال.

- وأنا أيضاً.

ضحكت إيمير ما إن انطلق طفلاها نحو الدرج، وقالت: «هذا يعني أنهما سيفعلان ذلك حتى آخر فصل الصيف. وهكذا يمكنني القول إنك ستنعمين بالسلام لفترة طويلة».

- أنا أتكلم بجدية. أحب أن يأتوا لتمضية يومين عندي.

سحبت الكرسي قرب ميغان وهي تتابع: «لكن أعطني إنذاراً فقط هذه المرة، وسأكون سعيدة جداً».

- لا داعي لتفعلي ذلك تيجان، فأنا أعلم كم أنت منشغلة.

- سأجد لهم الوقت الكافي لأنني أفتقدهم.

نظرت إيمير بإمعان إلى أختها وهي تضع ملعقة من البطاطا المهروسة في فم ميغان، ثم علقت قائلة: «أنت مختلفة هذه المرة!».

- أجل، غيرت طراز شعري وقصرته قليلاً.

- لا، ليس هذا هو السبب. مع أنه جميل جداً.

ابتسمت وهي تكمل: «لم تتطوعي مطلقاً من قبل لاستقبال أطفالي المرعبين في منزلك. كان عليَّ دوماً أن أطلب ذلك».

تورد وجه تيجان وهي تنظر إلى شقيقتها، ثم أوضحت: «كان ذلك تصرفاً خاطئاً من قبلي، وأنا أرغب في التعويض عنه».

- أتعلمين؟ شعر أطفالي بالسرور لبقائهم معك. يجب أن تحظي بأطفال أنت أيضاً. لا بد أنك ستكونين أماً رائعة.

تجنبت تيجان النظر إلى وجه أختها، وركزت على وضع المزيد من البطاطا في فم ميغان، ثم قالت: «لم أصل بعد إلى سن اليأس».

استغرقت إيمير في التفكير بصمت، فنظرت إليها تيجان بطرف عينها وسألتها: «ماذا؟».

- حسناً! من هو ذلك الشاب؟

www.elromancia.com

تورد وجه تيجان من جديد وسألتها: «أي شاب؟».

- آه! أنت تعلمين أي شاب. أنت تعرفينه لدرجة أنك أصبحت تفكرين في الاستقرار وإنجاب الأطفال فجأة. أليس كذلك؟

- لم أقل إنني أفكر في إنجاب الأطفال الآن.

- لا، لم تفعلي. لكنك أيضاً لم تقولي «أنا منشغلة جداً، ولا وقت لدي لإنجاب الأطفال». هذا كان جوابك الدائم.

مالت بذراعيها عبر الطاولة نحو أختها، وتابعت: «إنه جدي في علاقته بك. أليس كذلك؟».

- لا أعلم.

- أنت تكذبين.

- إيمير...!

ابتسمت أختها ابتسامة عريضة، وسألتها: «وهل أنت جدية في علاقتك به؟».

ابتلعت تيجان غصة بصعوبة. ربما هذا جزء من السبب الذي دعاها للقدوم ورؤية أختها. من أفضل من أختها للتحدث معها عن هذا التغيير الكبير الذي يحدث في حياتها؟

شعرت بوجهها يتوهج وهي تقول: «نعم... أعتقد أنني كذلك».

أطلقت إيمير صرخة حادة جعلت ميغان تحدق بها خائفة. قالت وهي تربت على كتف طفلتها: «آسفة، صغيرتي».

قدمت لها ملعقة من البلاستيك وتابعت: «هيا! تناولي طعامك بنفسك».

نظرت إلى تيجان بعينين مشعتين من الفرح، وعلقت: «آه! هذا خبر رائع».

- لن أخبرك شيئاً عن الأمر إن كنت ستصرخين مجدداً. أنا أعني ذلك فعلاً.

- لن أصرخ. أعدك... والآن أخبريني عنه.

من أين تبدأ؟ إنها تريد من أحدهم أن يخبرها كيف يمكنها أن تبني علاقة تدوم إلى الأبد، وليس مجرد صداقة تتهرب منها كلما تحولت إلى علاقة جدية كما اعتادت أن تفعل في السابق. إنها بحاجة إلى نوع من الدعم للتأكد من أنها لن تفسد الأمر بالقيام بتصرف أحمق أو جبان. ما تريده أيضاً من إيمير هو أن تخبرها أن لا داعي للشعور بالغيرة من امرأة يبدو بوضوح أنها خرجت نهائياً من حياة براندن، وأن عليها ألا تصاب بالرعب لأنه لم ينسَ تلك المرأة، مع أنه لم يكن مغرماً حقاً بها. لكن فجأة شعرت تيجان أنها ستبدو حمقاء فعلاً إن سألت عن أي شيء من ذلك لهذا لم تفعل، بل قالت: «أعرفه منذ وقت بعيد جداً».

- لم تذكريه أبداً من قبل.

- لم تسر الأمور على ما يرام في المرة الأولى.

- لكنكما على اتفاق كامل الآن. أليس كذلك؟ هذا خبر رائع حقاً!

أمسكت إيمير يد شقيقتها عبر الطاولة، وضغطت عليها بشدة.

- هذا ما تمنيته دوماً لك.

ابتسمت تيجان وقالت: «ما زال الوقت مبكراً لقول ذلك».

ضغطت إيمير على يدها بقوة، وقالت: «هذه الأنباء بحاجة إلى فنجان قهوة وقطعة من الحلوى».

نهضت عن مقعدها وبدأت بملء إبريق القهوة وهي تدير ظهرها إلى تيجان.

- كم أنا سعيدة الآن لأنني كنت لطيفة معه عندما رأيته اليوم.

كادت عينا تيجان تثقبان ظهرها وهي تسألها: «أرأيته اليوم؟».

- آه! أجل. ذهبت للتسوق مع ماغي في شارع أوكونيل، وتوقفنا في مطعم لتناول الغداء.

أخبرها براندن أنه سيكون بعيداً عن البلدة طوال النهار، فلماذا سيكذب بهذا الشأن؟ هزت تيجان رأسها. ها هي تتصرف مثل أي فتاة متملكة. لا بد أن تغيراً ما حصل في خطة عمله.

- ماغي أشارت إليه وبدأت بالتمتمة عندما مررنا أمام طاولته. بدت سعيدة جداً.

أبعدت إيمير الإبريق عن النار، وبحثت عن كوبين وهي لا تزال بعيدة عن شقيقتها. ابتسمت تيجان بحب لابنة أختها وقالت: «هذا لأنك رأيت براندن. أليس كذلك، حبيبتي؟».

- يا إلهي! كم أنا سعيدة لأنني كنت لطيفة معه. عندما رأيته مع تلك المرأة الفاتنة راودتني أسوأ الافكار.

امرأة فاتنة؟!

ضحكت إيمير وتابعت: «بدا هو محرجاً أيضاً. وتلك المرأة المسكينة... رمقتها بنظرة شريرة جداً عندما عرفنا على بعض».

شعرت تيجان بمعدتها تغوص إلى قدميها وهي تتوقع الأسوأ. سألتها: «ما اسمها؟».

- ربيكا على ما أظن.

مرت سنوات لم تشعر فيها تيجان بذلك الاحساس الشبيه بألم جرح ينزف في صدرها. هذا ما شعرت به بالتحديد في الوقت الذي وصلت فيه إلى المنزل. وما زاد الأمر سوءاً هو أنها لم ترغب في العودة إلى المنزل، مع أن منزلها هو ملاذها الوحيد. لكن مع وجود براندن في الناحية المقابلة من الشارع أصبحت ترغب في الابتعاد عنه. جعلها هذا الاحساس تزداد كرهاً له مع أنها تكرهه بما فيه الكفاية بسبب الاحساس بالخيانة الذي تشعر به. كيف يمكنه أن يفعل ذلك؟

عندما أصبحت في منزلها، لم تجد أمامها أي خيار إلا أن تعترف أنها فعلت ذلك لأن هذا ما أرادته. أرادت أن تصدق أن الحب والسعادة أمران ممكنان. أرادت أن تصدق أنه ما زال هناك قليل من السحر في الحياة، في مكان ما. أما الآن فأدركت أنها كانت على حق في البقاء وحيدة. المشكلة هي أنه فات الأوان على تراجعها لأنها عملت على فضح مشاعرها أمامه بوضوح. سمحت لنفسها بالإصابة بألم في قلبها لأنها

وثقت به ووقعت في غرامه.

توجهت مباشرة إلى الطابق العلوي. وقفت تحت مرشة المياه الساخنة لتستحم. أخذت تفرك بشرتها بحدة لا ضرورة لها، لكنها لم تذرف دمعة واحدة، فهي لن تسمح لنفسها بذلك. ما إن ارتدت أقدم سروال جينز لديها مع كنزة مريحة وطويلة من الصوف حتى سمعت رنين الجرس. في البداية تجاهلته، لكن بعد الرنة الرابعة علمت أنه براندن. فمن سواه يستطيع القدوم إلى بيتها بعد الساعة التاسعة مساء؟ من سواه يستطيع الاعتقاد أنه قادر على القدوم إلى منزلها من دون أن يتصل بها مسبقاً؟ وقفت أمام الباب من الداخل، وتنفست بعمق للحظات طويلة لتتمكن من السيطرة على غضبها حتى قرع الجرس من جديد.

عندما فتحت الباب وجدت من اعتقدت أنه أمام منزلها بالتحديد. اتكأ براندن على الحائط، وبدا شديد الوسامة وهو يحمل علبة من البيتزا.

- مرحباً!

رفعت تيجان ذقنها وقالت: «لدي الكثير من العمل وعليَّ إنهاؤه، براندن».

- مع ذلك، أنت بحاجة إلى تناول الطعام.

استمر في الابتسام وهو يلاحق عينها بعينيه.

- تناولت الطعام قبل قليل.

- حسناً! يمكنك البقاء بقربي وأنا أتناول الطعام.

تقدم خطوة إلى الأمام، لكن ابتسامته تلاشت عندما قطعت عليه الطريق.

- لا أعتقد ذلك.

لا يحتاج إلى الكثير من التفكير ليعلم أنها غاضبة. لديه فكرة واضحة من أين أتى كل هذا الغضب، وهو مستعد لمعالجة الأمر. لكن ما أثار قلقه هو أنها بدت باردة جداً كالثلج، وهذا أمر أكثر خطورة من غضبها. إنه يستطيع التعامل مع غضبها، فقد فعل ذلك في السابق مرات عدة.

أغمض عينيه للحظة وهو يتنفس بعمق، ثم سألها: «حسناً! ما الذي يجري؟».

ضمت تيجان ذراعيها فوق صدرها وحدقت به بغضب. بقيت أنفاسها هادئة وكأنها في سيطرة كاملة على أعصابها رغم الكره الذي تشعر به نحوه في هذه اللحظة. قالت: «أنت أخبرني».

- أنا لست بعالم نفسي، تيجان.

ابتلعت غصة بصعوبة لتكبت الألم الذي تشعر به. لن تسمح لنفسها بفقدان سيطرتها على أعصابها أمامه ولن تصرخ بوجهه، لأنها إن فعلت فهناك احتمال كبير لأن تبكي أمامه، وهي بكت أمامه بما فيه الكفاية.

- انتهى كل ما بيننا، براندن.

رفع حاجبه غير مصدق ما سمعه. سألها: «آه! نحن... هل انتهينا، بالفعل؟».

- أجل. هذا ما حدث.

- ألن تخبريني لماذا؟

- ما من داع لأخبرك بأي شيء.

- أعتقد أنه يجدر بك ان تفعلي.

شعرت بالغضب يغلي في عروقها فقالت: «أنت شاب ذكي جداً، بإمكانك أن تفهم ما حدث بنفسك؟».

كانت تقف منتصبة أكثر من العادة، وهكذا تمكن من النظر مباشرة إلى عينيها. فتح فمه ليتكلم، لكنها استغلت تلك اللحظة لتتكلم قبله: «أظهرت ذكاء مميزاً بمساعدتي لأتفهم الأخطاء المهمة في حياتي، فلماذا لا تنظر بإمعان إلى حياتك الخاصة؟ ربما كنت منغلقة جداً على نفسي براندن، لكنه أمر قمت به عن سابق إصرار وتصميم كي لا أسبب الأذى لأي شخص آخر. وهذا أمر لم تستطع أنت القيام به. أليس كذلك؟ كل ما فعلته هو أنك برهنت لي أنني كنت على حق منذ البداية، وأنه ما كان عليَّ أبداً أن أتورط معك من جديد».

حاولت أن تنهي كلامها وهي تصفق الباب في وجهه، لكنه تحرك بسرعة فمدّ يده بقوة ليدفع الباب ويفتحه من جديد. سار عبر المدخل فيما ظهرت نظرة من التصميم الكامل على ملامح وجهه.

- آه! لا. لم تخطئي أبداً.

تراجعت تيجان، واختفى تماسكها الهش أمام غضبها المتزايد. قالت: «اخرج حالاً من بيتي!».

- لا! لن أفعل.

استمر في السير نحوها، وتوقف فقط ليرفس الباب ويغلقه خلفه.

- اعتقد أن كلينا يعلم أنك تعرفينني جيداً، فأنا لن أذهب إلى أي مكان. تباً، تيجان! أخبريني ما الذي يجري!

- أتريد حقاً أن تعلم؟

صرخت به، وتوقفت عن التراجع إلى الوراء وهي تحدق به بعينين غاضبتين، ثم كررت بعصبية: «أتريد أن تعلم ما الذي يجري؟».

- أجل!

- حسناً! سأخبرك بالتحديد ما الذي يجري هنا.

وقف جامداً وهي ترميه بكلمات غاضبة ومليئة بالحقد: «لن أسمح لنفسي بأن أكون مجرد علاقة عاطفية عابرة كردة فعل على فشل زواجك. هذه هي المشكلة».

- علاقة عاطفية... كردة فعل على فشل زواجي؟

حدق براندن بها بدهشة وذهول. عندما التقى بإيمير بعد ظهر هذا اليوم فكر أنها قد تذكر ذلك لأختها، وقال لنفسه إنه إن شرح المسألة لتيجان وهما يتناولان البيتزا فلن تحدث مشكلة بينهما، لكنه لم يتوقع أن تصل إلى هذا الاستنتاج. تابع مستنكراً: «عمَّ تتحدثين بحق السماء؟ أنت لست علاقة عاطفية عابرة، ولست ردة فعل عن خطأ أو فشل ما».

تقدمت نحوه وهي تقول: «هذا ما أنا عليه بالتحديد. ما جرى يبدو واضحاً وجلياً الآن».

– إذاً ربما يمكنك تفسير الأمور لي، لأنني لا أرى أي منطق في كل ما تقولينه.

ضمت ذراعيها إلى صدرها من جديد وسألته: «هل ستقول لي إنك لم ترَ ريبكا اليوم؟».

– لا، لن أقول لك ذلك. ولو انتظرت عشر دقائق فقط لأخبرتك عنها بنفسي.

– كل ما في الأمر هو أنك التقيت بها صدفة. أليس كذلك؟

– لا. فأنا أراها بصورة مستمرة.

ابتسمت له بتكلف، وعلقت: «حسناً! أليس هذا أمراً جيداً لكما معاً؟ مع أنه كان من الأفضل لو أنك ذكرت ذلك من قبل».

– تيجان! نحن لم نتحدث عن هذا الأمر مطلقاً من قبل.

هز رأسه بإحباط وسار عبر الغرفة ليقف أمام المدفأة. وضع البيتزا على الرف أمامه. ساد الصمت المليء بالتوتر والقلق للحظات بينما كانت تنتظر منه أن يستدير ليواجهها مجدداً.

– لأنني كلما حاولت أن أحدثك عنها كنت ترغمني على السكوت.

– هل ستصغين إلى ما سأقوله أم أنك ستستمرين بالصراخ عليّ طوال الوقت؟

تراجعت تيجان إلى الوراء بسرعة، فيما عادت تلك النظرة الباردة إلى عينيها وهي تقول: «حسناً!».

سارت من وراء مقعد عال ثم جلست عليه. مررت يديها فوق سروالها بعناية، ثم ضمت يديها إلى بعضهما في حضنها بهدوء قبل أن ترفع نظرها إليه وتقول: «تفضل... ابدأ بالحديث، فأنا مستعدة لسماع ما ستقوله».

هز براندن إصبعاً طويلاً باتجاهها وعلق: «لا تفعلي ذلك!».

رمشت بعينيها وقالت: «أفعل... ماذا؟ اعتقدت أنك تريدني أن أصغي إليك».

أطلق شتيمة وسار بخطى واسعة بعيداً عن المدفأة. استدار لينظر إليها بعد قليل.

– لن تكوني منفتحة بما فيه الكفاية لتصغي إلى ما سأقوله بعد أن انطويتِ على نفسك تماماً كما كنت في السابق.

سار بخطى واسعة نحوها من جديد، ووقف أمامها قبل أن يتابع: «خذي من وقتك دقيقة لتفكري بكل ما حدث بيننا في الأسابيع الماضية، ثم اسألي نفسك إن كان ذلك كله مجرد كذبة كبرى».

قلبت شفتيها قليلاً قبل أن تتحدث بنبرة باردة وحازمة: «ألهذا السبب لم تستطع أن تقبل أي علاقة جدية بيننا؟ ألأنك ما زلت مغرماً بها؟».

– أنا لست مغرماً بها! أنا أعمل معها! فأنا أصمم المواقع الإلكترونية للشركة التي كنا نعمل بها معاً. كما أنني ما زلت أعمل مع زوجها!

كلمة «زوجها». جعلت عينيها تتسعان من الدهشة، فابتسم براندن ابتسامة باردة وعلق: «لم تتوقعي هذا الخبر. أليس كذلك؟ إنه يهدم نظريتك الشهيرة من أساسها على رأسك».

عندما رمشت جفونها لعدة دقائق شعر بالرقة نحوها، إذ اعتقد أنه تمكن أخيراً من الوصول إليها. لكنها اشعلت غضبه من جديد عندما قالت بهدوء: «هذا لا ينفي أن أكون علاقة عابرة بالنسبة لك. سواء كانت متزوجة أم لا، أنت ما زلت تهتم بها. كان عليّ معرفة ذلك في اللحظة التي تبدلت فيها عندما سألتك عنها في الزفاف».

– أجل، ما زلت أهتم بها تيجان...

أدارت رأسها بعيداً عنه، فيما تابع براندن بصوت هادئ وعادي: «... كصديقة غالية فقط. أنت محقة تماماً بشأن شيء واحد فقط. أنا فعلاً تبدلت عندما تحدثنا عنها في الزفاف».

أبعدت تيجان يديها عن بعضهما، وأمسكت بذراعي المقعد كي تتمكن من الوقوف. قالت: «لقد سمعت بما يكفي».

– لا، لم تسمعي.

اقترب منها ووضع يديه الكبيرتين على كتفيها ليدفعها بحزم لتعود وتجلس على المقعد، ثم انحنى وربض أمامها ليتمكن من النظر إلى عينيها مباشرة طالباً منها كل الانتباه وهو يتابع: «تبدلت عندما تحدثنا عنها لأنني فجأة أدركت سبب فشل زواجنا».

- وهل ذهبت اليوم لتشرح لها السبب؟ أنا متأكدة أن زوجها الحالي سيسعد بك كثيراً.

- هناك أشياء يجب أن تقال لكي تفهم أنها لم تكن مخطئة في ما حدث بل أنا المخطئ. احتجت لأكون معك من جديد كي أرى ذلك بوضوح.

شعرت بالألم من جراء كلماته. ما الذي قالته له في الزفاف وأعطاه تلك الرؤية الواضحة لمعرفة سبب فشل زواجه؟ لم تجد في ذاكرتها أي شيء يتعدى جدار الألم الذي تشعر به الآن. أرادته أن يغادر كي لا تسمع المزيد عن علاقته بامرأة أخرى. امرأة حصلت على حبه وشاركته حياته. كيف يمكنها أن تتخلص من الاحساس بالخيانة بعد هذه الحادثة؟ مالت نحوه وقالت بصوت هادئ: «أتعلم، براندن؟ أمضيت سنوات من حياتي وأنا أصغي إلى والديّ يتشاجران باستمرار مثل هذا الشجار. ربما يختلف الموضوع، لكن في النهاية جرت الأمور على المنوال ذاته، فعلاقتهما لم تنجح... تماماً كما يحدث الآن. لم يكن هناك متسع لأمر رائع كالحب، لأن تلك الشجارات لم تفعل شيئاً إلا قتله عن تعمد وتصميم».

تحركت رموشه السوداء الكثيفة وهو يحدق بها بصمت، فيما تابعت تيجان قائلة: «اعتدت على سماعهما كل ليلة. كنت أستلقي على سريري وأصغي إليهما وهما يمزقان بعضهما بالتفسيرات والأعذار وتبرير أسباب الخلاف. وخلال النهار كنت أعيش مع شخصين محطمين من شدة الغضب، لا يستطيعان أن يظهرا أي عاطفة حتى لابنتيهما، لأن ذلك الجزء في روحيهما مات ودفن».

راح النبض ينتفض في فكه، ثم تحركت عضلات عنقه وهو يبلع ريقه بقوة، فيما تابعت: «هذا ما يفعله الناس الذين يهتمون لبعضهم البعض.

ولهذا السبب أقسمت ألا أهتم بأحد بهذه الطريقة».

لمعت عيناه ما إن فهم تماماً ما قالته، وسألها: «وهل أنت مهتمة بالطريقة نفسها الآن؟».

حدقت بعينيها الخضراوين به، وقد بدتا خاليتين من أي عاطفة. وعلم براندن أنها قد تضيع من يده. نهض من جديد وتراجع قليلاً ما إن نهضت عن كرسيها. سار نحو المدفأة وهويدير ظهره لها، بينما تابعت تيجان السير لتبتعد أكثر عنه. لفظ اسمها كأنه يصرخ مستغيثاً: «تيجان!».

توقفت عن السير، لكنها لم تستدر نحوه.

- إن كان ما يحدث الآن لأجلنا، فيجب أن تعرفي القصة كلها. بعدئذٍ لا أحد منا سيتخذ مما حدث عذراً ليفسد ما تبقى من حياته.

رفع رأسه، ونظر إلى انعكاس صورة ظهرها على المرآة فوق رف المدفأة، أما هي فلم تتحرك. بدأ يتحدث بصوت أجش عميق، ولم يهتم مطلقاً إن تمكنت من سماع مقدار عاطفته وهو يتكلم.

- سألتني في حفل الزفاف إن كنت مغرماً بربيكا.

- في تلك اللحظة بدأت بالتغير وتبديل الحديث.

- هذا صحيح، لأنك جعلتني أفكر بالأمر. أردت فقط أن أعطيك أجوبة صادقة، لأن الصدق هو ما أردته لعلاقتنا.

- أنا كنت صادقة جداً معك.

- أجل، أعلم ذلك. على الرغم من صعوبة الأمر عليك.

تنفس بعمق قبل أن يتابع: «فكرت بالأمر بعمق أكبر مما كنت أفعل في السابق. يبدو أنني لم أكن أفكر بما فيه الكفاية حتى التقيت بك من جديد».

- وإلى أي نتيجة وصلت بأفكارك؟

- قلت لك إنني لم أحبها بالقدر الكافي، وتلك هي الحقيقة. أعتقد أنني عرفت ذلك طوال الوقت، لكنني لم أعرف السبب.

أدارت تيجان رأسها ببطء. ونظرت بلمحة خاطفة إلى ظهره، ثم

قالت: «إن لم تكن تحبها بالقدر الكافي، إذاً لماذا تزوجتها؟».

- أردت أن أتزوج وأنشئ عائلة. عندما التقيت بريكا بدا الانسجام بيننا واضحاً. فنحن صديقان وكلانا نحب العمل. أعتقد أننا اتفقنا على الزواج قبل أن نأخذ الوقت الكافي لنفكر بالأمر بعمق. بعد أن أصبحنا صديقين مقربين لعدد من السنين شعرنا أنه من المنطق أن نصبح خطيبين. وبعد أن استمرت الخطوبة لأكثر من سنتين بدا من الأفضل أن نتزوج. لكن مع الوقت اكتشفنا أن ما يجمعنا ليس قوياً بما فيه الكفاية لتنشئ عائلة. أدركنا معاً أن ما يجمعنا هو صداقة حقيقية، وهذه الصداقة أفضل لكلينا من كوننا زوجين. احتاجت ريبكا للقاء دكلان لتعلم ذلك، ومع ذلك حاولت أن تعمل على إنجاح زواجنا. لكنني، بدلاً من الصراع لأجل إنقاذ زواجنا، تركتها ترحل.

- وهذا ما زال يؤلمك؟

- أجل.

نظر إلى انعكاس صورتها مرة ثانية، ثم أسقط نظرته إلى رف المدفأة. تجهم وجهه وهو يتابع: «ما يؤلمني أكثر هو أنها كانت تتهمني طوال الوقت بأنني لا أهتم بها، وبأنني لم أشعر يوماً بعاطفة حقيقية نحوها، وكأنني أتمسك بجزء من نفسي بعيداً عنها. لطالما قلت لها إنها مخطئة، لكنها ليست مخطئة أبداً. لم أعلم ذلك حتى جعلتني أنت أفكر بالأمر. لهذا السبب أردت رؤيتها لأخبرها أنها كانت على حق، فقد كنت بعيداً عنها منذ البداية، ولم تكن تلك غلطتها أبداً».

مع استمرار انحناء رأسه لم يرَ براندن كتف تيجان يستدير ببطء، ولم يلاحظ أنها تنظر مباشرة إليه وأن هناك الكثير من الأسئلة في عينيها. احتاج الأمر لأن يسمع التصدع في صوتها عندما تكلمت ليرفع رأسه وينظر إليها: «ما هي أهمية وجودك معي في جعلك تفهم كل ذلك؟».

نظر إلى عينيها مطولاً كأنه يرغب في اشتباك نظراتهما معاً قبل أن يقول: «أنت مخطئة في اعتقادك أنك مجرد علاقة عابرة لأنسى ريبكا...

مخطئة جداً».

راقبته وهو يستدير ويسير نحوها. فسألته: "كيف يمكنك أن تكون متأكداً؟

- عندما التقيت بك من جديد أدركت أنني لم أحب امرأة سواك...

لمعت عيناها بشدة.

- ...فأنا ما زلت أحبك كما أحببتك عندما كنت في الثانية والعشرين من عمري.

رمشت تيجان بعينيها، فبدأت دموعها بالتجمع على رموشها. ابتسم براندن بحزن وتابع: «أنت لست مجرد علاقة تجعلني أنسى ريبكا، بل ريبكا كانت علاقة فاشلة لأنساك».

تبدلت نبرة صوته فتوقف عن الكلام ليتمكن من إجلائه. نظر بعيداً وأكمل: «ما كان عليّ أن أضعها في ذلك الموقف. كما أنني لا أستطيع الاستمرار في الضغط عليك لمحاولة شفاء سنوات من الألم، في حين أنني ما زلت أعلم ما الذي فعلته بها. لهذا ذهبت إليها اليوم في محاولة لإصلاح الأمر. أو على الأقل لتوضيح الأمور وطي تلك الصفحة نهائياً».

بدت تيجان مخطوفة الأنفاس بينما تساقطت الدموع من جفونها إلى خديها. هزّ براندن رأسه وهو ينظر نحو الباب: «هي سعيدة جداً، هل تعلمين؟ إنهما بانتظار مولودهما الأول بعد ستة أشهر، وهما مغرمان جداً ببعضهما. فالذي يجمعهما حب حقيقي صادق».

تجمعت الدموع على حدود خديها للحظة قصيرة قبل أن تسقط بصمت على الأرض.

- أول فكرة طرأت على بالي عندما رأيتها اليوم هي كم ستبدين جميلة وأنت تحملين طفلنا. حتى إنني سمحت لنفسي بأن أحلم للحظة بأن ذلك سيحدث لنا يوماً ما.

تنهدت تيجان بصوت مسموع.

- لو أنني أخبرتك بهذا قبل اليوم، ربما كنت ستهربين من جديد. لم

أستطع المخاطرة.

بقي صامتاً للحظة وهو ينظر إليها. تبعت عيناه مجرى دموعها على خديها قبل أن يتابع: «هذا يعني أن الوقت ما زال مبكراً جداً على التحدث بمثل هذه الأمور. أليس كذلك تيجان؟».

على الرغم من تساقط دموعها وتنهيداتها المتسارعة، هزت تيجان رأسها موافقة بصمت. إنه على حق في كل ما قاله. لا بد أنها كانت لتشعر بالخوف حتى الموت. هز براندن رأسه ببطء، ثم رفع يديه ووضعهما بحزم في جيبي سرواله قائلاً: «هذا ما اعتقدته».

ارتجف صدرها وهي تتنفس ما إن أدركت أخيراً ما الذي يحدث أمامها؛ إنه يقول لها وداعاً!

حدق بالباب من جديد ثم تحرك باتجاهه، وقال: «على الأقل أصبحت تعرفين الحقيقة».

بخطوتين فقط أصبح قرب الباب. راقبته تيجان وهو يفتح الباب ثم يغلقه بلطف وراءه. وهي... تركته يرحل. تركته يرحل بالفعل...

١١ - أنت قدري!

استمر هطول الأمطار، وتلك ليست ظاهرة غير طبيعية في إيرلندا في فصل الصيف. لكن بدأ المطر بالتساقط بشكل خفيف في الليلة التي غادر فيها براندن منزلها، ومنذ ذلك الوقت لم يتوقف. بدت الطبيعة كأنها انعكاس لما تشعر به تيجان.

يا لسخرية القدر! إنها - وللمرة الأولى في حياتها - تتفهم موقف والديها، وتعلم لماذا كانت حياتهما تعيسة. حتى إنها تكاد تسامحهما. إن اعتقد براندن أنها خالية من المشاعر فذلك لأنه لا يعرف حقاً مدى رقة مشاعرها وعمق عواطفها. منذ رحيله باتت تشعر كأنها مجرد ظل امرأة. مرت الأيام من دون أي ذكريات حقيقية، كما أنها لم تشعر بأي اهتمام حقيقي بأولئك الذي تحدثت معهم. لكن بالرغم من كل شيء كانت تنجز أعمالها.

بدت فترة المساء هي الأسوأ. ففي تلك الفترة تشعر أنها فعلاً وحيدة. راحت تجلس في منزلها فيما يغيب نور النهار في الخارج، ولا تتوفر لديها الطاقة لتنهض وتزيح الستائر أو لتنير المصابيح في المنزل، بل تجلس مسمرة في مكانها وهي تنظر إلى منزله. شعرت بشوق لم تشعر به مطلقاً من قبل، فيما هي تراقب المطر يتساقط بغير انقطاع عبر زجاج النافذة، كما لو أنها تجد دموعاً أمام عينيها حتى عندما تكف عن البكاء. يتراءى لها أحياناً أنها تراه وهو يتجول داخل منزله، فتضغط وجهها على الزجاج وهي تحبس أنفاسها كي لا يحجب نفسها الرؤية، وتنظر بإمعان مترقبة أي حركة. أي لمحة منه ستكون كافية لها... لكن بدا الأمر وكأنها تراقب شبحاً.

www.elromancia.com

بعد مرور عدة أيام بدأ هاتفها يرن كل أمسية، لكنها تجاهلته. وبفضل تساقط الأمطار تمكنت من تجنب التحدث مع جيرانها الآخرين، حيث كانت تراهم يركنون سياراتهم في الطرق الفرعية الخاصة بمنازلهم، ثم يسرعون إلى منازلهم محتمين بالمظلات. عندما استمرت في تجنب الرد على الهاتف من المنزل، بدأت إيمير تتصل بها إلى الشركة. لكن تيجان راحت دائماً تطلب من موظفة الاستقبال أن تقول إنها منشغلة أو إنها في لقاء عمل أو إنها خرجت في موعد غداء.

في نهاية الأسبوع، وبعد سيل من الاتصالات الدائمة ظهرت إيمير أمام باب بيتها، فأدركت تيجان أنها لا تستطيع الاختباء إلى الأبد.

- أحاول الاتصال بك عبر الهاتف منذ قرون!

نظرت حولها وهي تهز رأسها لتتخلص من رذاذ الماء على شعرها، ثم تابعت قائلة: «لماذا تجلسين في الظلام؟».

أجابت تيجان بأول كذبة طرأت على بالها: «لم يمضِ وقت طويل على وصولي إلى المنزل».

- لم أكن حتى متأكدة أنك في المنزل عندما وصلت إلى هنا.

وجدت إيمير المصباح الموجود على أقرب طاولة فأضاءته، واستدارت لتنظر إلى أختها. قالت على الفور: «آه، يا إلهي! ما الأمر؟».

نظرت تيجان شزراً إلى الضوء، وقالت: «هل بإمكانك أن تسدلي الستائر؟».

حدقت إيمير بها وهي تجلس مخبئة إلى جانب النافذة، وعلقت: «تبدين مخيفة!».

لوحت تيجان بيدها باتجاه الستائر، وقالت: «أرجوك، إيمير. اسدلي الستائر».

تقدمت إيمير نحو النافذة الواسعة وشدّت الستائر، ثم استدارت من جديد لتحدق بتيجان وهي تسأل: «ما الذي حدث؟».

- هل يمكننا أن نؤجل الحديث عن ذلك الآن؟

- لا! بل سنفعل الآن. اعتقدت أنني مصابة بهاجس القلق عندما رحت تتجنبين اتصالاتي، لكنني لم أكن مخطئة. أليس كذلك؟

- أنا فقط بحاجة إلى قضاء بعض الوقت بمفردي.

- لماذا؟

هزت تيجان رأسها وسارت عبر الغرفة نحو المطبخ. قالت: «أنا فقط أعمل على بعض الأمور. هذا كل شيء».

- حسناً! إذاً، دعيني أساعدك.

إنه نوع من تبادل الأدوار، وهي فعلاً تدرك ذلك. الحمد لله إنهما مقربتان جداً الآن لدرجة أن إيمير تحاول مساعدتها، لكن ليس هناك أي مجال للمساعدة في وضعها هذا. أجبرت نفسها على الابتسام، ثم نظرت إلى أختها وهي تملأ إبريق القهوة لتقول: «أنا فقط بحاجة إلى بعض الوقت. صدقيني! سأكون بألف خير».

في الوقت الذي أحضرت فيه الكوبين من الخزانة وصلت إيمير لتقف بجانبها وتضع ذراعاً حول كتفيها. تصلب جسم تيجان على الفور من لمسة أختها.

- تيجان! لطالما وقفت إلى جانبي وساندتني طوال حياتي، فدعيني الآن أبادلك بالمثل.

هزت تيجان رأسها وأجابت: «أقدر لك ما تفعلينه إيمير... لكنك لا تستطيعين المساعدة».

- إنه براندن. أليس كذلك؟

أجابت بنبرة رتيبة: «أجل».

ثم أجبرت نفسها على الابتسام من جديد، وربتت على يد أختها الملقاة على كتفها قبل أن تبتعد وهي تقول: «لكنك لا تستطيعين المساعدة».

- هل أقدم ذلك الأحمق على تحطيم قلبك؟

- هو ليس بأحمق

- لكنه حطم قلبك؟

- أنا من حطمت قلبي بنفسي.

شهقت أختها قبل أن تقول: «أنت أبعدته عنك. أليس كذلك؟».

- إيمير...!

- هل يحبك؟

قطبت تيجان جبينها وهي تنظر إلى الكوبين في يديها. قالت باقتناع كامل: «أجل. أنا أؤمن حقاً بأنه يحبني».

- وأنت أيضاً تحبينه. أليس كذلك؟

- أجل.

الكلمة التي خرجت من فمها كالهمس دفعت إيمير إلى العودة إلى جانبها. مالت برأسها إلى الأسفل حتى تتمكن من النظر إلى عيني تيجان وسألتها: «إذاً، كيف ساءت الأمور بينكما؟».

- كدنا نمزق بعضنا إلى أشلاء ونحن نحاول الإجابة عن هذا السؤال. حتى إننا رمينا بعضنا بكلمات قاسية لنجد من نضع اللوم عليه... تماماً كما كان يفعل أبي وأمي.

نظرت إلى البعيد كي لا ترى الحزن في عيني شقيقتها، وتابعت: «هذا ما فعلناه بالتحديد، والفضل بذلك كله يعود إلي».

امتلأت عينا إيمير على الفور بالدموع وهي تقول: «آه، تيجان!».

قفزت تيجان إلى الوراء مبتعدة عنها وكأنما النار لسعتها. فهي لا تستطيع النظر إلى أي شخص آخر وهو يبكي، فما بالك إن كان هذا الشخص إيمير!

- عليك أن تذهبي. أنا بحاجة فقط إلى بعض الوقت، صدقيني... سأكون بخير.

- أحقاً تقولين ذلك؟

هزت إيمير رأسها وتابعت: «لا أصدق أن هذا ما يحدث، لا سيما عندما يتعلق الأمر بموضوع بهذه الأهمية. حب كامل كهذا لا يحدث كل يوم معك».

بل في الواقع، ما كان ليحدث معها مطلقاً لولا وجود براندن. أليس كذلك؟ إن أرادت الاعتراف بالحقيقة، ليس هو الشخص الوحيد الذي وقع في الغرام فعلاً في المرة الأولى. لم يلزمها الكثير من الوقت لمعرفة ذلك هي أيضاً.

- ألا تستطيعين إصلاح الأمر معه؟

- لا أعلم.

- أيتها الحمقاء الغبية!

صوت أختها المرتفع أدهشها. رمشت بعينيها قبل أن تفتحهما بقدر ما تستطيع. قالت غير مصدقة: «هل ستبدأين بالصراخ علي؟ هذا فعلاً ما أنا بحاجة إليه الآن!».

- إن كان يحبك وأنت تحبينه وأنت لست هناك لتحاولي اصلاح الأمر بينكما...

اشارت إيمير إلى النافذة وتابعت: «... إذاً أنت حمقاء وغبية».

فتحت تيجان فمها منذهلة فيما استمرت أختها بتأنيبها قائلة: «أنت من بين كل الناس تعلمين كم من النادر الحصول على شيء رائع كهذا. وبدلاً من الصراع لأجله، ها أنت هنا تختبئين وتبعدينه عنك. هل تريدين أن تمضي ما تبقى من حياتك على هذا المنوال؟».

رمشت تيجان بعينيها مراراً وهي تستمع إلى انفجار إيمير الغاضب. سارت إيمير كالعاصفة أمامها عبر غرفة الجلوس وهي تتابع: «أنت تفعلين ما فعله والدانا بالضبط. لكنني لن أقف مكتوفة اليدين لأراقبك وأنت تقومين بذلك، تيجان. هل تسمعينني؟».

- إيمير...!

توقفت هذه الأخيرة عن السير، ثم استدارت على عقبيها وعادت كالعاصفة. أشارت بإصبعها نحو تيجان التي بقيت جامدة مكانها، وقالت: «أمي وأبي وحدهما المسؤولين عن نوعية الحياة التي عاشاها. هل تعلمين؟ احتجت إلى سنوات لأفهم ذلك. كان بإمكانهما أن ينفصلا

ويعيشا حياة مختلفة محاولين إيجاد السعادة في مكان آخر، لكنهما لم يفعلا. اختارا العيش ببؤس، ونسيا ماذا يمكن للحب أن يفعل بحياتهما. لماذا سنسمح لنفسينا أنا وأنت بأن نتأثر بما فعلاه؟».

- لا بد أنهما اعتقدا أنهما ماداما متزوجين فهذا يعني أنه يجب عليهما البقاء معاً. هذا ما كان الناس يعتقدونه في الماضي لكن الحياة تغيرت الآن، وهذا هو الفرق.

- هراء! كانا جبانين ولم يفكرا حتى بالمحاولة... هذه هي الحقيقة. احتاج الأمر لأن تصرخي بوجهي في المستشفى حتى أرى أنني أفسد فرصة حياتي بالحصول على السعادة بسبب الميراث الذي تركاه لنا. وإذا كان صراخي عليك الآن هو ما تحتاجينه لترى الأمور على حقيقتها، فسوف أحضر إلى هنا كل يوم للصراخ عليكِ!

عندما توقفت إيمير عن الكلام، وجدت تيجان نفسها تبتسم ابتسامة حقيقية ولو أنها تحمل بعض المرارة في طياتها.

قالت: «آه! ماذا حصل حتى أصبحت الأكثر تحلياً بالمنطق بيننا؟».

عبست إيمير قليلاً، ثم تنفست بهدوء قبل أن تبتسم من جديد لأختها وهي تقول: «لم أكن أعلم أنني أملك هذه الصفة، في الواقع. يبدو أنني تعلمت منك».

استمرت تيجان بالابتسام. رمشت بعينيها ونظرت نحو النافذة ثم قالت: «لا أريد أن أعيش بدونه، إيمير. أنا أعلم ذلك. علمت ذلك عندما راقبته يسير مبتعداً إلى خارج المنزل، لكنني لا أعرف كيف أصلح الأمر. هذا كل شيء».

- حسناً! اذاً، عليكِ فقط أن تجدي الطريقة الأنسب.

- ليس ذلك بالعمل السهل.

- تيجان! الأمر الذي يستحق القتال لأجله ليس سهلاً. انتظري حتى تجربي إنجاب الأطفال.

* * *

من الجيد أن براندن غير متعلق بمنزله، لأنه سيقدم على بيعه الآن. أي خيار آخر أمامه؟ هل بإمكانه أن يعيش في الجهة المواجهة لتيجان، وأن ينظر إليها في كل يوم جديد؟

إنه ببساطة يفتقدها كثيراً. يفتقد رؤية غمازتيها عندما تضحك، ويفتقد التماعة عينيها عندما يتشاجران، ويفتقد همساتها الناعمة عندما يضمها إليه ويعانقها. لكن، الأهم من كل ذلك أنه يفتقد الاحساس الرائع الذي يغمره عندما يكون معها. لطالما أراد أن تكون له عائلة تخصه وحده. أراد امرأة يحبها وتحبه. إلا أنه لم يقدم فعلاً على الجلوس والتفكير بما سيشعره به هذا الحب. بالطبع، حلم بالكثير من الحب والمشاركة، لكنه لم يتوقع أبداً أن يشعر كأنه يفتقد نصفه الآخر بدون المرأة التي يحبها. هذا ما كان يفتقده بالفعل أثناء زواجه من ربيكا. فهو لم يشعر مرة بالشوق إليها كما يشعر بالشوق نحو تيجان. عندما تحدث مع ربيكا قالت له أشياء لم يجد فيها المنطق الكافي. قالت له إنها مع دكلان لم تحتج مطلقاً لتتخيل وجوده في حياتها لتقتنع أنه مناسب لها. كل ما في الأمر أنها تخيلت كيف ستكون حياتها بدونه وهذه هي الحجة الحاسمة في حياتها.

أدرك براندن بالتحديد ما قصدته بكلامها الآن. استلقى على سريره وحيداً في الليل وحاول أن يجد حلاً. الحقيقة الوحيدة البسيطة التي تكبح أي خطة مهما كانت مهمة، أنه لا يستطيع القيام بأي شيء بمفرده ما لم تقدم تيجان على اتخاذ خطوة ما لأجلهما معاً. يحتاج الأمر لأن يعملا معاً من أجل تحقيق ذلك. لذا، ومع أن الأمر يزعجه حتى الموت، بدأ بوضع خطط جديدة لحياته... خطط تأخذه بعيداً عنها.

بدأ الأمر بمراقبتها وهي توقف سيارتها أمام الطريق الفرعية لمنزلها في المساء، بينما هو جالس وقد أقفل الستائر بشكل نصفي، وليس هناك في الغرفة أي نور سوى الضوء القادم من جهاز الكومبيوتر. أخذ يراقبها وهي تختبئ تحت المظلة وتسير بسرعة إلى داخل منزلها منحنية الرأس. راقبها وهي تنتقل في الداخل بين الظلال، فراح يجهد عينيه ليرى إن

كانت تنظر نحوه.

أقدم على شتمها مراراً لأنها لا تنير منزلها ليتمكن من رؤيتها. كما أنه شعر بالقلق عليها لأنها تجلس في الظلام بمفردها وتشعر بالوحدة تماماً مثله.

في لحظات ضعفه تمنى لو أنها تدرك أن نصفها الآخر يقطن في الجهة المقابلة من الطريق، وكأنه بالتمني يستطيع أن يجعلها تأتي إليه.

هكذا سيطر عليه الغضب يوماً بعد يوم. ففي النهاية، ها هو عاد ليفعل ما كان يفعله بالتحديد عندما انتقل للعيش هنا: المراقبة والانتظار. وهذا عمل مثير للشفقة بدون أي شك، وهو لن يفعل ذلك بنفسه بعد الآن.

* * *

وُضعت اليافطة في المكان المخصص لها يوم الثلاثاء أثناء وجود تيجان في العمل. رأتها للمرة الأولى من خلال الزجاج الأمامي لسيارتها بالرغم من المطر المنهمر عندما انعطفت عبر الشارع. انعكست عليها أضواء السيارة، ما جعلها تشع على الفور فتظهر الأحرف البيضاء الكبيرة: «للبيع».

عندما أوقفت سيارتها في الطريق الخاصة لمنزلها تسمرت في مكانها. راحت تنظر إلى اليافطة عبر المرآة الخلفية؛ سوف يبيع منزله، ويرحل إلى الأبد!

أبعدت عينيها عن المرآة، ثم حملت حقيبتها وأوراقها من المقعد المجاور لها وخرجت من السيارة. لكنها لم تستطع إلا أن تنظر مجدداً إلى اليافطة.

ها هو يرحل!

نظرت من وراء كتفها إلى اليافطة متظاهرة بأنها تنظر إلى الفراغ. فتحت باب بيتها، وعندما أصبحت في الداخل نظرت مجدداً وهي تتردد في إغلاق الباب.

إنها لا تريده أن يرحل!

إنها بحاجة إلى خطة، الآن وفوراً.

اغلقت الباب، ووضعت ما تحمله على طاولة جانبية، ثم تجولت بدون أي هدف في المنزل. أخيراً صعدت الدرج إلى غرفتها لتبدل بذلتها الرطبة. قامت بكل ما يجب عليها القيام به وهي تتحرك بصورة آلية، لكن عقلها لم يكن أبداً معها.

كل ما في الأمر هو أنها لم تحارب مطلقاً من قبل لتحتفظ بأي كان، وهي حقاً لا تعلم ماذا عليها أن تفعل. تساءلت ما الذي يفعله الناس في وضع كهذا؟ ما الذي يقولونه ليتمكنوا من إقناع الأشخاص الذين يحبونهم بالبقاء معهم إلى الأبد؟

تحركت كالرجل الآلي لترتدي سروال جينز وكنزة ثم تنتعل حذاء رياضياً. بعد ذلك توجهت من جديد إلى الطابق الأرضي، إلى غرفة الجلوس المظلمة.

تملكت بها العادة ومنعتها من إنارة المصباح وهي تقف أمام النافذة تحدق باليافطة.

تشتت انتباهها عندما ظهرت أضواء سيارة عبر الشارع، وأوقف براندن سيارته أمام منزله.

* * *

ها قد وضعوا اليافطة!

لمحها بسرعة ما إن أنارت أضواء سيارته الأحرف البيضاء الكبيرة. قالوا له إنهم سيضعونها في وقت ما من هذا الأسبوع، لذلك ما من داع ليشعر كأنه لم يتوقع وجودها، جعلته رؤيتها يتأكد أن كل شيء أشرف على النهاية.

رفع الكابح اليدوي لسيارته ثم حمل حقيبة الكومبيوتر عن المقعد الجانبي. خرج من السيارة وحدق باليافطة وهو يضغط على القفل الأوتوماتيكي لأبواب السيارة، ثم سمعها تقفل. لن يتمكن بعد اليوم من الجلوس في مكتبه ليحدق عبر الشارع ويشعر بالشوق إليها.

التفتت عيناه نحو بيتها، فقطب جبينه على الفور. حان الوقت ليتوقف عن القيام بذلك. عليه أن يعتاد على الأمر. أليس ما يفكر به صحيحاً؟ تساقط المطر الخفيف على رأسه ثم ازداد قوة، فرفع كتفيه بقوة. شعر بجسده متصلباً ومتعباً بسبب القيادة لوقت طويل جداً. الطريقة المثلى التي وجدها ليمنع نفسه من الإصابة بالهواجس في اليومين الأخيرين هي أن يعمل على الاتصال بزبائنه بقدر ما يستطيع، وهكذا يبقى بعيداً عن منزله. لم يهتم مطلقاً لبعد المسافة التي سيجتازها. وفي هذا اليوم بالتحديد قطع مئات الأميال.

قطب جبينه بتصميم قوي، واستدار على عقبيه ليدخل إلى المنزل. وضع جهاز الكومبيوتر قرب الدرج، وصعد ليبدل ثيابه.

بعد مرور عشر دقائق رفعه من جديد ما إن عاد إلى الطابق الأرضي، وتوجه نحو المكتب. لم يسمح لنفسه حتى بالنظر إلى النافذة وهو ينير مصباح الغرفة ويُخرج جهاز الكومبيوتر من حقيبته لينقل ما أنجزه في الأيام الأخيرة إلى الكومبيوتر الآخر. سيتظاهر أنها ليست هناك حتى يتم بيع المنزل.

* * *

انتظرت تيجان قرب النافذة، ورأته يخرج من سيارته. راقبته وهو ينظر إلى اليافطة، وتبعته بعينيها حتى دخل إلى منزله.

ساورها إحساس قوي بأن وضعهما أصبح حرجاً، وأنها بحاجة إلى المواجهة بشكل طارئ جداً.

لم تدرك يوماً أنها تفتقد إلى الكلمات المناسبة. هذه المرة لن تذهب لتتحدث إليه وهي غير مستعدة، كما حدث في الليلة التي توجهت بها إلى غرفته في الفندق. هذه المرة ستعالج المشكلة بشكل صحيح... عليها أن تقنعه بالبقاء.

فيما راح ذهنها يجهد لإيجاد طرق مختلفة لتقول له ما تريد قوله فقط من خلال كلمتين اثنتين مرت سيارة وأنارت أضواؤها الشارع، فتمكنت

من رؤيته.

انحبست أنفاسها في صدرها. فرؤيته عن بعد ليست كافية مطلقاً بالنسبة إليها.

* * *

سُمعت همهمة الكومبيوتر أثناء نقل المعلومات من جهاز إلى الآخر. انحنى براندن فوقه وبذل أقصى جهده ليحصر اهتمامه بما يقوم به من عمل. علم أنه إن جلس فهو سوف يؤرجح كرسي المكتب أثناء انتظاره، وإن فعل فسينظر إلى خارج النافذة.

وهو لن يقدم على النظر إلى الخارج، على الرغم من أن نظرته الشاملة إلى الغرفة جعلته يلاحظ أن الستائر غير مسدلة.

* * *

مدت تيجان يدها إلى المصباح بجانبها، وعيناها لا تزالان على براندن. حركت ذراعيها إلى الأمام وإلى الوراء بحثاً عنه، ثم لمست رؤوس أصابعها زر الإضاءة وأنارت الغرفة.

التقطت رؤيته الشاملة انعكاس النور من منزلها. وللحظة كاد يرفع نظره ليراها، وهو يشعر بقلبه يضرب بقوة أكبر. فهي لم تضيء منزلها منذ قرون، لا سيما وهي تبعد الستائر عن النوافذ ليتمكن من رؤية أي شيء.

ابتعد قليلاً عن الكومبيوتر، ثم وقف مستقيماً وحدق مباشرة في الجدار. بعدئذٍ استدار ونظر إلى الحبل الذي يجر الستائر.

لكن ما إن تقدم نحوه ومدّ ذراعه إلى الأمام حتى ارتكب خطأ النظر إلى الخارج. عندئذٍ رآها واقفة هناك في وسط النافذة الكبيرة، تحدق عبر المسافة فيه.

لابد أنه رآها! للحظة اعتقدت أنه سيقدم ببساطة على إغلاق الستائر وإبعادها عنه. إن فعل ذلك فستشعر برفض جديد لها، رفض قد يدفعها للتراجع والابتعاد عنه. لكنه وقف ببساطة، وأخذ يحدق بها بالمقابل، فشعرت بإحساس كبير من الأمل يسيطر عليها.

هكذا، وفيما عيناها ما زالتا مسمرتين عليه، تقدمت خطوة إلى ناحية من النافذة. مدّت يدها وأنارت الضوء أمام باب منزلها في الخارج.

فُتح البابان المتواجهان في الوقت نفسه. وعلى الرغم من المطر المتساقط، سارا باتجاه بعضهما والتقيا في منتصف الطريق، في وسط الشارع.

رفعت تيجان نظرها إليه وهي تشعر بقلبها يضرب بقوة كالعاصفة في صدرها. هل هو أطول قامة مما تستطيع أن تتذكر؟ وهل بدا متعباً هكذا في آخر مرة رأته فيها؟

أرغمت نفسها على قول الكلمات التي كررتها في ذهنها عشرات المرات. لكنها لم تستطع تخطي واقع أنه هنا... تماماً أمامها.

رمش براندن بعينيه وهوينظر إليها للحظات طويلة. بدأ الماء يقطر من كمي قميصه المبتلين. بعد ذلك قال ببساطة وبصوت عميق وصل إلى أعماق قلبها: «مرحباً!».

نظرت بعيداً عن وجهه للحظة قصيرة، ثم رفعت كتفها وهي تشير قائلة: «رأيت اليافطة».

أجبر نفسه على النظر بعيداً عن وجهها، فالتفت إلى حيث أشارت من فوق كتفه ليجيب: «أجل. قالوا لي إنهم سيضعونها هذا الأسبوع».

- هل ستنتقل إلى مكان بعيد من هنا؟

رفع كتفيه العريضتين قائلاً: «بدت لي هذه فكرة جيدة».

حبست تيجان أنفاسها وهي لا تزال تحدق بوجهه الوسيم. رمشت بجفونها لتتخلص من المطر الملتصق بها ثم سألته: «هل سترحل من هنا من أجلي؟».

التوى فمه بابتسامة صغيرة بسبب الكذبة البيضاء التي تفوه بها أثناء قوله: «لا! بل من أجل ذاتي».

لم تفهم تيجان ما قاله فعلقت: «أنا لا أفهم ما تقوله».

- بقائي هنا... بالقرب منك... ليس جيداً لصحتي. يجب على

أحدنا أن يكون شجاعاً بما فيه الكفاية ليَرحل.

بقيت الابتسامة الشاحبة على وجهه وهو يعيد النظر إليها. علمت أنه حزين لأن ابتسامته لم تصل إلى عينيه. تابع قائلاً: «من يأتي أخيراً، يرحل أولاً».

هزت رأسها وقالت: «براندن...!».

- لا بأس، تيجان. لا تقلقي بشأني. رحيلي أمر منطقي جداً.

إنه يفضل الموت على أن يقف في وسط الشارع ليصبح عرضة للشفقة أو ليستجدي عاطفة منها. رفع ذقنه بكبرياء كأنه يدافع عن نفسه، وتابع قائلاً: «بهذه الطريقة يستطيع كل منا متابعة حياته بأمان».

حرك قدميه كأنه يستدير، قاصداً أنه يرغب في الابتعاد. لكن تيجان تركته يرحل مرة من قبل، وهي لن تسمح بحدوث ذلك من جديد. على الرغم من تساقط المطر بغزارة على وجهها الآن، تقدمت خطوة منه لتصبح أقرب إليه وقالت: «براندن، انتظر!».

النداء الناعم أوقفه مكانه على الفور. حتى إن قلبه نسي أن يدق، ما جعل انتظامه يخطئ للحظة. لكنه لم يسمح لنفسه بالنظر إليها. فالنظر إليها عن قرب لوقت طويل قاسٍ جداً عليه، وهذا ما يشعر به بالفعل.

- لا ترحل!

لفظت الكلمات بنعومة بالكاد سمعها. ربما تمنى أن تقولها وهي لم تفعل ذلك مطلقاً.

- لا أريدك أن ترحل، براندن. ابقَ هنا.

هذه المرة لفظت الكلمات بنبرة أعلى وبحزم أكبر. تأكد عندئذٍ أنها هي من قالتها. لهذا خاطر بالنظر إليها، ليرى ماذا يمكن أن يقرأ على وجهها.

مالت برأسها إلى الوراء لتتمكن من النظر إليه. لكن بدا من الصعب عليه أن يحكم على ما يراه بسبب المطر والنور الخافت. ذلك الوميض في عينيها هو ما أمل أن يراه، لذا سألها: «لماذا؟».

سُمعت ضحكتها المرتجفة، ثم قالت: «يبدو أن هذا الموقف أشد

صعوبة مما اعتقدته».

وضع يديه في جيبي سرواله ليمنع نفسه من أن يمدهما نحوها. عاد ليسألها ببساطة: «لماذا؟».

- لأنني لم أقل أبداً من قبل لأي رجل إنني أحبه. هذا هو السبب.

قفز قلب براندن، لكنه كبت ضحكته. يجب أن يتم اتفاقهما بطريقة صحيحة وكاملة هذه المرة. لن يخاطر بقول كلام لا جدوى منه أو البدء بشجار جديد.

- لماذا لا تدعيني أفهم كل ما يجري، إذاً؟

اتسعت عيناها الخضراوان بدهشة من ردة فعله الهادئة. ما الذي تتوقعه؟ من المؤكد أنها تنتظر شيئاً ما... ابتسامة صغيرة، ربما؟ موقف لطيف من قبله؟ أي شيء ينبؤها أنه سعيد لسماعها تقول هذه الكلمات بصوت عالٍ.

- أليس هذا كافياً؟

- أنت أخبريني.

- تباً لما يجري!

لوحت بذراعيها إلى جهة واحدة، ثم رفعت إبهامها باتجاه المنزل وراءها. قالت: «كنت أجلس بجوار النافذة في ذلك المنزل لأسبوع مضى وأنا أحاول أن أفكر كيف يمكنني أن أصلح الأمور بيننا، والآن أنا هنا في الخارج أخبرك بما أشعر به نحوك، وهذا ليس كافياً بالنسبة لك؟».

- أتعتقدين أنني لم أفعل الأمر المضني نفسه؟

- إذاً لماذا تتشاجر الآن؟

- لأنك رفعت صوتك عالياً!

- ماذا يمكنني أن أقول لك لأجعلك تصدقني؟

الطريقة التي تلفظت بها بالكلمات جعلته فعلاً يصدقها. توهج الأمل في صدره، فهمس بصوت مليء بالحب: «لِمَ لا تحاولين من جديد. علينا أن نصلح الأمر تماماً هذه المرة».

إنه على حق، فكلاهما قام بأعمال سيئة في السابق. والآن حان الوقت ليفكرا قليلاً ويقولا الحقيقة لبعضهما.

- قلت لي مرة إن أكثر ما يخيفني في الحب الرائع الحقيقي، هو خشيتي من أن أضطر إلى التخلي عنه.

ضربت الأرض بقدمها بإحباط ما إن ظهرت دموعها للمرة المليون. تابعت قائلة: «يا للعنة! ها أنا أبكي من جديد! وأنا فعلاً سئمت من البكاء أمامك».

- هيا! تابعي. فأنت تقومين بعمل مميز حقاً.

تنفست بعمق وبصوت عالٍ، ثم تابعت على الفور: «الحقيقة هي أنني خائفة، خائفة حقاً وحتى الموت».

تنفست من جديد وأكملت: «ما أخشى منه هو أن أفقدك مرة أخرى. مع أن المرة الماضية كانت بسبب حماقة مني».

مال براندن برأسه إلى الأمام، رفع حاجبيه لينظر إلى عينيها وهو يسألها: «أتقصدين عندما هربت مني؟».

هزت رأسها وقالت بصوت منخفض: «أجل كنت في الحادية والعشرين من عمري. هل يستطيع أي شخص اتخاذ قرار مهم وخطير وهو لا يزال في الحادية والعشرين من عمره؟».

إنها وجهة نظر لم يفكر بها أبداً! ربما حدسه لم يجعله يدرك تماماً كيف كان شعوره حينها. ربما كان سريع التأثر ومؤمناً بالحب أكثر منها، كما أنه كان وما زال يؤمن أن كل شخص سيجد نصفه الآخر يوماً ما. لكنه لم يكن قادراً على رؤية المرأة المناسبة له أمام عينيه إلا بعد سنوات كثيرة. لذا ربما لم يكن مستعداً لهذا الأمر مثلها تماماً.

- ربما لا. لكن نحن لا نستطيع الآن القيام بأي شيء لإصلاح ما حدث حينها.

كلمة «نحن» هي التي أحدثت التغيير عندها. شهقت تيجان وهي تمسح دموعها، ثم ابتسمت وقد لمعت عيناها بالأمل.

- قلت نحن.

- بالطبع!

- إذاً ما زال هناك نحن معاً.

- تيجان هناك دائماً «نحن» و«معاً» أيضاً بالنسبة لي بكل الأحوال.

بدا هذا كافياً لتقترب منه أكثر وليمتلئ صوتها بالحماس وهي تقول: «ولي أيضاً. لم يكن هناك أي أمل في الاعتراف بذلك حتى لنفسي حتى عدت إليّ من جديد. لم يكن هناك أي رجل آخر في حياتي براندن حتى لو قررت الانطلاق في العالم والبحث عن واحد. ذلك الرجل ما كان يمكن أن يكون إلا أنت. أعتقد أن الألم الذي شعرت به في السابق ليس لأنني كنت وحيدة بل لأنك لم تكن قربي».

هذا ما يريد براندن سماعه. لم يعد قادراً على البقاء واقفاً بهدوء. رفع يديه وأحاط وجهها المليء بالماء، ثم حف إبهامه على خديها وقال: «هذا الأمر لا يحدث كل يوم. يمضي بعض الناس حياتهم كلها وهم يبحثون عن هذا الحب ولا يحظون به، وهذا ما يجعلنا أكثر من محظوظين».

ابتسمت له وقالت: «أجل. أعلم ذلك».

ضحك من شدة الفرح.

أمسكت تيجان بقميصه الرطب ثم ضربته بقبضتيها وشدته إليها بقوة وهي تتمتم: «أحبك».

استمر المطر بالهطول عليهما وهما يبتسمان لبعضهما البعض، لكن ذلك لم يشكل أي فرق لديهما. اقترب براندن منها أكثر، مصمماً على قول كل شيء قبل أن يعانقها. لأنه إن بدأ بعناقها فلا رغبة لديه مطلقاً في التوقف.

- أحذرك تيجان ديلاني أن هذا ما أريده بالتحديد. وما إن تصبحي لي لن أتركك مطلقاً حتى آخر العمر. البقاء في منزلي وأنا أعلم أنك قريبة جداً مني هو أسوأ عذاب تحملته يوماً، وأنا لا أستطيع القيام بذلك مرة ثانية. أنا أقصد ما أقوله تماماً. لذا يجب أن تعلمي أن ما يحدث بيننا الآن

سيستمر إلى الأبد وأنك ستعملين معي على إنجاح علاقتنا، أو علينا أن نفترق الآن وأن نصلي لأن يتوقف هذا الألم في وقت ما قبل وفاتنا.

- لا أريد الابتعاد عنك، مطلقاً.

احتاج فقط ليميل قليلاً حتى يلمسها ويضمها إليه. مالت برأسها إلى الوراء لتتمكن من النظر إليه. رمشت تيجان بجفونها لتبعد المطر عن عينيها وهي تبتسم له، ثم تابعت: «أنا اعتمد عليك بألا نفترق، لأنني لا أريد ذلك. أريد أن أنام وذراعاك تحيطان بي في كل ليلة، وأريد أن أستيقظ بقربك كل صباح. أنا أحبك وقد أحببتك دائماً».

- وأنا أيضاً أحبك. أحببتك دائماً، وسأحبك إلى الأبد.

وابتسم للمطر الذي يتساقط على وجهها، ثم أخفض رأسه وعانقها...

تنهدت تيجان، ورفعت يديها إلى الأعلى لتتمكن من ضمه من كتفيه. شعرت بعضلات كتفيه القوية تحت أصابعها وشعرت بصدره يعلو ويهبط وهو يعانقها. بادلته العناق بكل ما لديها من مشاعر جمعتها خلال الأسبوع الماضي كله...

استمرا في العناق حتى بات يصعب عليهما التنفس. في تلك اللحظات انتبها إلى أنهما أصبحا مبتلين تماماً.

حرك براندن يديه نحو خصرها ورفعها عن الأرض. رفعها عالياً لدرجة أنه أجبر على إحناء رأسه إلى الخلف ليتمكن من الاستمرار بعناقها.

رفعت تيجان رأسها ونظرت إليه، شعرت بالضحك ينفجر من صدرها، فهي لم تكن يوماً سعيدة كما هي الآن، ولم تشعر مطلقاً كأنها فعلاً تطير في السماء. وليس السبب في ذلك أنه يرفعها عن الأرض.

ضحكا معاً، ثم رماها براندن عالياً في الهواء ليعود فيتلقاها بجسمه الصلب. قال بصوت عميق ودافئ: «فقط لمعلوماتك، في هذه الأثناء لا داعي مطلقاً للسؤال إن كنا سنبقى معاً، فأنت لي..».

أدركت تيجان أنه يقول الحقيقة، فهذا قدرهما معاً. يمكنها أن تتصور ما سيحدث بعد تلك الأيام من الصداقة الحميمة. قالت تتحداه وهي ترفع ذقنها: «إذاً، لا يمكننا أن نبقى تحت المطر إذا أردنا العيش معاً إلى الأبد».

- حبيبتي!

انحنى ليضع ذراعه تحت ركبتيها ويرفعها بين ذراعيه، ثم قال: «حياة بأكملها لن تكون كافية لتثبت لك مدى حبي».

دفنت تيجان رأسها في عنقه ما إن استدار وحملها نحو باب بيته المفتوح.

توقف المطر عن الانهمار ما إن وصلا إلى الباب، فرفعا نظرهما معاً إلى الأعلى. لاحظا أن الغيوم الأخيرة تنسحب بعيداً وأن النجوم تتلألأ فوق رأسيهما. ما إن نظرا إلى وجهي بعضهما البعض حتى أدركا أهمية ما يحدث، وعلم كل منهما أن الآخر يساوره الشعور نفسه.

- هل تؤمنين بالقدر، تيجان؟

- الآن وأنت معي يمكنني أن أؤمن بأي شيء.

١٢ - حفل زفاف ونجمة!

إنها فوضى عيد الميلاد، وتيجان تعشق كل لحظة فيها. رمت إيمير بنفسها على الأريكة الواسعة قرب تيجان، وقالت: «أليس هذا أفضل عيد ميلاد تعيشينه؟ من الرائع أن تملك عائلة براندن هذا المنزل الضخم. كم عدد الذين يجتمعون هنا بالتحديد؟».

ضحكت تيجان وأجابت: «تسعون شخصاً على الأقل، بالإضافة إلينا على ما أعتقد. يبدو أن الأطفال سعداء جداً».

انطلق عدد كبير من هؤلاء الأطفال فراحوا يتراكضون حولهما. راقبت تيجان أولاد أختها وهم يتسابقون مع سبعة من أطفال أخوة وأخوات براندن. في آخر المجموعة بدت ميغان وهي تحاول بأقصى جهدها أن تحفظ ساقيها منتصبتين، فهي ليست معتادة بعد على السير بشكل متوازن تماماً، لذا استحقت الابتهاج والتشجيع اللذين لقيتهما من أمها وخالتها عندما وصلت بعد خمس دقائق من وصول المجموعة كلها.

- يجب أن تفكري بجدية في القيام بشيء ما لزيادة هذا العدد بعد وقت قصير.

تورد وجه تيجان وقالت: «حسناً! نحن نفكر بالأمر».

- انتبهوا أيها الأطفال!

لوحت لويزا بطبق ضخم من السندويشات المتنوعة تحت أنوفهم، وتابعت وهي تبتسم بحب كبير: «أقسم أنني بحاجة إلى سنة كاملة لأتمكن من إزالة كل هذه الفوضى. أليس ما ترونه جميلاً جداً؟ أنا سعيدة جداً لقدومكم. ما كانت الأمسية جميلة هكذا بدونكم. يبدو المنزل أشبه

www.elromancia.com

بالمكتبة هذه الأيام، بعد أن انتقل معظم أولادي للعيش خارجاً. الحمد لله أنه ما زال لدي صغيرين في المنزل، ولا أعلم ما الذي سأفعله عندما يغادران».

ما إن وضعت الطبق حتى تناول كل واحد من الأطفال سندويشاً. ابتسمت تيجان وهي تنظر إلى الصغيرين الأخيرين اللذين يقفان قرب براندن أمام المدفأة. إن كلمة صغيرين هي آخر كلمة يمكن أن تستعملها لتصف الشقيقين الأصغرين لبراندن، فكلاهما يملكان ذاك الطول الفارع مثله.

ابتسمت إيمير وقالت: «عندئذٍ يجدر بك أن تستقبلي أحفادك في عطلة نهاية الأسبوع سيدة مكنامارا، وحينها ستبدأين بالبحث عن فترة للراحة».

- آه! لا يمكنك أن تحصلي على العدد الكافي من الأحفاد، عزيزتي. ألم أقل لك من قبل...

ضربتها بمنشفة الصحون وهي تتابع: «... إن اسمي لويزا؟ عليك أن تحضري أولادك الثلاثة إلى هنا دائماً، لأننا أصبحنا عائلة كبيرة الآن. كما عليك أن تقنعي أختك وبراندن لينجبا لنا المزيد من الأطفال. فنحن نعتقد أنهما بالغا في الانتظار. هناك أمر آخر أيضاً، نحن معتادون على إقامة حفلات زفاف كبيرة بينما اكتفى براندن وتيجان بزواج بسيط وهذا أمر يجب إعادة النظر فيه».

ضحكت إيمير بصوت عالٍ وأجابت: «هذا ما أعتقده أيضاً».

ثم وجهت غمزة إلى أختها.

- احتجت أنا وكوماك إلى خمس دقائق فقط لنتفق على الزواج، وأقمنا حفل زفاف كبير. أريد إقامة زفاف كبير لبراندن أسوة بإخوته وأخواته».

أعطت تيجان السندويش في يدها إلى إيمير، ثم وقفت وهي تقول: «أمام هذه الملاحظة، أعتقد أن عليّ الذهاب للتحدث مع براندن».

وقع نظره عليها ما إن نهضت وطبعت قبلة على خد أمه. إنه أمر

تقومان به بصورة تلقائية. بعد خمسة أشهر من الزواج بدا كأن هناك جهاز اتصال صامت بين تيجان وبراندن، إذ يعلم كل منهما بمكان الآخر من دون أن يبحث عنه.

رفع حاجبيه متسائلاً، فمالت برأسها باتجاه الباب. إنهما حقاً ماهران بالتخاطب بطريقة صامتة أيضاً، ومن خلال طرق كثيرة.

احتاجا لبعض الوقت ليتمكنا من عبور الغرفة، فهناك هدايا عليهما إظهار إعجابهما بها، ومعانقات عليهما أخذها وتقديمها، ونكات عليهما أن يضحكا لها، أمسكا بيدي بعضهما وسارا بسرعة نحو غرفة الطعام الفارغة ليشعرا ببعض الأمان بمفردهما.

ضمها براندن إليه وعانقها بشدة سرقت أنفاسها من صدرها. وعندما رفع رأسه أخيراً ابتسم لها وقال: «أخيراً تمكنا من الابتعاد».

مالت إلى الوراء ليحتضنها بين ذراعيه وقالت: «مر وقت طويل. هل اشتقت إليّ؟».

عانقها من جديد وأجاب: «أشتاق إليك دائماً».

- لدي ما أقوله لك.

لمعت عيناه ما إن تفوهت بالكلمات وقال: «أراهن أن هناك شيئاً مهماً، وأنا أيضاً لدي ما أقوله».

ضحكت وقالت: «ليس هذا ما قصدته».

رمش بجفنيه ببراءة معلقاً: «ماذا؟ ليس هذا ما قصدته أيضاً».

عانقها مجدداً ثم همس بأذنها: «مع أنني أفكر بذلك على الدوام».

وقبل أن يبعد ذراعيه، أمسك بيدها وشدها لتمر أمام الطاولة الكبيرة ليصلا إلى النافذة في نهاية الغرفة.

عندما توقف ترك يدها ووضع يديه الاثنتين على كتفيها ليديرها كي تواجهه. ثم تركها مرة ثانية وتراجع خطوة إلى الوراء وقال: «يبدو لي أن هذا هو المكان المناسب».

رمشت عينيها بارتباك وهو يبتسم ابتسامة ماكرة.

مدّ يده إلى جيبه وأخرج علبة صغيرة ملفوفة وضعها في يدها، وأبقى عينيه على أصابعها وهو يطبقها على العلبة. قال بصوت هادئ وصافٍ: «كان علينا القيام بذلك من قبل، وأنت تعلمين ذلك. لكن في البداية أردت مجاراتك عندما أردت عقد زواج بسيط. فكرت أن أمنح زواجنا الوقت الكافي لندرك أننا سننجح حقاً معاً. بعد ذلك انشغلنا بشراء منزل كبير لنا وقمنا بكل تلك الأعمال الضرورية لنقل كل ما نريده إليه. بعد ذلك بدا لي أن عيد الميلاد هو أفضل وقت رومنسي بالنسبة إلينا، بكل الأحوال».

لمعت عينا تيجان وهي تنظر إلى شعره الأشقر، وشعرت بقلبها يتسع من شدة الحب. لو عاشت مليون سنة لن تصدق أنها تستطيع أن تحبه أكثر مما تفعل الآن.

قالت بدون أي مقدمات وبدون أن تسمع المزيد: «موافقة».

رفع رأسه وعيناه تتراقصان من الفرح، وقال: «لم أسألك بعد».

- ما زال الجواب نعم. أوافق على إقامة زفاف في الكنيسة كما جرت العادة في عائلتك.

اقتربت منه حتى أصبحا كأنهما شخص واحد. مالت برأسها إلى الوراء وهمست: «لست بحاجة للكلمات، فأنا أرى ما أريده في كل يوم في عينيك. أنت تحبني وأنا أحبك. نحن لم نقم حفلاً للزفاف، لذا أنا موافقة على الوقت الذي تختاره».

ابتسمت وتابعت: «توقعت أن ترغب بمثل هذا الزفاف منذ دعوتني لحضور زفاف أختك».

لم يعلم براندن بذلك حينها. شعر بالسعادة لأنه ما زال يكتشف أشياء جديدة بشأنها في كل يوم. قال: «هذا ما شعرت به أنا أيضاً».

عانقها بنعومة وببطء شديد. لكن ما إن أطبقت أصابع تيجان حول العلبة الصغيرة حتى شعرت بإلحاح ما في أفكارها. هناك شيء آخر، أليس كذلك؟ إنه ماهر جداً بصرف انتباهها عن كل أمر يهمها بفضل معانقاته.

ما إن تذكرت حتى ابتعدت عنه متعمدة وقالت: «آه! لا».

ضحك براندن من نبرتها المشاكسة. قال: «حسناً! من بين كل الكلمات التي يمكن أن تقوليها وأنا أعانقك، هذه أكثر الكلمات غرابة».

- لقد أفسدت مفاجئتي... هذا كل شيء.

- حسناً! أطلقي النار عليّ لأنني طلبت منك إقامة حفل زفاف كبير.

ضحكت له وربتت على ذراعه بيدها الأخرى، ثم قالت: «خططت جيداً لما سأقوله، وها أنت تسبقني كالعادة وتفسد مفاجأتي. الأمر أكثر صعوبة مما ظننت... لكن بدا لي عيد الميلاد أكثر الأوقات رومنسية».

رفع حاجبيه وسألها: «أكنت ستطلبين مني إقامة هذا الحفل بنفسك؟».

- حسناً! ربما توقعت ذلك في وقت ما، لكنني لا أفكر في هذا الأمر الآن بالذات.

- اعتقدت أنك قلت إنك لست بحاجة لأي كلام لتعبري عما تريدينه؟

ما زال الرجل حكيماً، وما زال على حق! إنها ليست بحاجة إلى الكلام لتخبره. منحته تيجان ابتسامة مليئة بالأنوثة... ابتسامة ميزت المرأة لقرون طويلة، ثم دفعت بالعلبة الصغيرة إلى داخل جيب سرواله.

- احتفظ بهذه للحظة. أريدك أن تضعها في إصبعي عندما أنتهي مما سأقوله.

تصلب جسمه على الفور، لكنه ابتسم لها بمكر، فدفعها ذلك إلى الابتسام هي أيضاً.

صفر قبل أن يقول: «حسناً! أنا جاهز لسماع كل ما تريدين قوله».

- أنت على حق. ليس هناك من داع للكلام لأعبر عما أريد قوله، مع أنه كلام جميل جداً.

التقت نظرات عينيها بنظراته. مدت يديها وأمسكت برسغيه ثم شدت يديه إلى الأمام، ووضعت راحتي يديه على بطنها. نظر براندن إلى حيث

استلقت يداه وحرك إبهاميه ببطء إلى الأمام وإلى الوراء فوق بطنها المتنفخ. رفع نظره إليها وعيناه تلمعان بشدة.

ابتسمت تيجان وامتلأت عيناها بدموع السعادة، ثم ضحكت ضحكة ناعمة وقالت بصوت هامس: «ميلاد سعيد».

ارتجف صوته وقال: «منذ متى؟».

ابتسمت وقالت: «منذ أسبوعين فقط، هذا ما قاله لي الطبيب».

إن كانت لديها أي شكوك حول ما يشعر به نحوها، فقد رأت المشاعر الصادقة في عينيه الآن. قال وعيناه ما تزالان تضيئان من الفرح والابتسام: «ستقتلني أمي إن لم نقم حفل الزفاف في غضون الأسابيع القليلة القادمة».

مدت يديها الصغيرتين وأحاطت بهما وجهه ثم قالت: «يمكنها أن تلقي اللوم عليّ. أمضيت كل حياتي بمفردي متجاهلة ما يمليه علي قلبي، براندن».

وقفت على رؤوس أصابع قدميها وهمست: «والآن حصلت على كل شيء. الآن أملك كل شيء».

- أحبك!

- أعلم ذلك.

ابتسمت له وتابعت: «أيها الأب المنتظر».